وصف الجاحظ لقريش وبني هاشم

قد عَلِم الناس كيف كَرَم قُرَيش وسَخاؤها وكيف عُقولها ودَهاؤها وكيف رأيُها وذكاؤها وكيف سياستُها وتدبيرها وكيف ايجازها وتحْسيرها وكيف رَجاحة أحْلامها اذا خَفّ الحليم وحدّة أذهانها اذا كلّ الحديد وكيف صَبرُها عند اللقاء وثباتُها فى اللأْواء وكيف وفاؤها اذا استُحْسن الغَدْر وكيف جودُها اذا حُبَّ المالُ وكيف ذكْرُها لأحاديث غَد وقلّة صُدودها عن جهة القَصْد وكيف اقْرارُها بالحقّ وصَبْرُها عليه وكيف وصْفُها له ودُعاؤها اليه وكيف سَماحَة أخلاقها وصَوْنُها لأعْراقها وكيف وصَلوا قديمَهم بحَديثهم وطَريقَهم بتَليدهم وكيف أشْبَه عَلانيتَهم سِرُّهم وقولَهم فعلُهم وهل سلامة صدر أحدهم الا على قدر بُعد غَدره وهل غَفْلَتُه الا فى وزن صِدْق ظَنّه وهل ظَنُّه الا كيَقين غيره

دُرّتا زَيْن لمُرّتَيْ عَيْن

حكى عن محمد بن عبدالرحمن الهاشمى قال كانت عَتّابة أُمّ جعفر ابن يحيى تَزُور أُمّى وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة بَرْزة يُعْجبُنى أن أجِدَها عند أمى فأستَكْثر من حديثها فقلت لها يوما ياأم جعفر ان بعض الناس يُفَضّل جعفرا على الفضل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبرينى فقالت مازلْنا نَعْرف الفضل للفضل فقلت ان

أكثر الناس على خلاف هذا فقالت هاءنا أُحَدِّثُكَ واقْضِ أنتَ وذلكَ الذى أردتُ منها فقالتْ كانا يوما يلعبان فى دارى فدخل أبوهما فدعا بالغذاء وأحْضَرَهما فَطَعِما مَعه ثم آنَسَهُما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشَّطْرَنْج فقال جعفر وكان أجْرَأهما نعم قال فهل لاعَبْتَ اخالكَ بها قال جعفر لا قال فالْعَبا بها بينَ يَدَىّ لأرَى لمَن الغَلَب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبْصَرَ منه بها فجىء بالشطرنج فَصُفَّتْ بينهما وأقبلَ عليها جعفر وأعْرَض عنها الفضل فقال له أبوه مالَكَ لاتُلاعب أخالكَ فقال لا أُحبّ ذلكَ فقال جعفر انه يَرَى أنه أعلمُ بها فيأنَفُ من مُلاعَبَتى وأنا ألاعبُه مُخاطَرَةً فقال الفضل لا أفعل فقال أبوه لاعبْه وأنا مَعَكَ فقال جعفر رضيتُ وأبَى الفضل واستعفَى أباهُ فأعْفاه ثم قالت لى قد حَدَّثْتُكَ فاقْضِ فقلتُ قد قَضَيْتُ للفضل بالفضل على أخيه فقالت لو عَلِمْتَ أنكَ لاتُحْسِن القضاءَ لَمَا حَكَّمْتُكَ أفلا ترى أنّ جعفرا قد سَقَط أربَع سَقَطات تَنَزَّه الفضل عنهنّ فَسَقَط حين اعترفَ على نفسه بانه يَلْعب بالشطرنج وكان أبوه صاحبَ جِدّ وسقط على الْتزام مُلاعَبة أخيه واظْهار الشَّهْوة لغَلَبه والتَعَرُّض لغَضَبه وسقط فى طلب المُقامَرة واظهار الحِرْص على مال أخيه والرابعة فاصِمَة الظَهْر حين قال أبوه لأخيه لاعِبْه وأنا معكَ فقال أخوه لا وقال هو نعم فَناصَبَ صَفًّا فيه أبوه وأخوه

فقلتُ أحسنْت والله وانكَ لأقْضَى من الشَّعْبِيّ ثم قلت لها عَزَمْتُ عليكِ أخبرينى هل خَفِى مثْلُ هذا على جعفر وقد فَطَن له أخوه فقالت لولا العزيمة لما أخْبَرْتُكَ انّ أباهُما لمّا خرج قلت للفضل خاليةً به ماَمَنَعكَ من ادْخال السُرور على أبيكَ بمُلاعبة أخيكَ فقال أمْران أحدُهما لو أنى لاعَبْتُه لَغَلَبْتُه فأخْجَلْتُه والثانى قول أبى لاعبْه وأنا معكَ فما يَسُرّنى أن يكون أبى معى على أخى ثم خَلَوْت بجعفر فقلت له يسأل أبوكَ عن اللعب بالشطرنج فَيَصْمُت أخوكَ وتعترف وأبوكَ صاحب جدّ فقال انى سَمِعْت أبى يقول نعْم لَهْوُ البال المَكْدُود وقد عَلِم ماتَلْقاه من كدّ التَعَلُّم والتأدُّب ولم آمَن أن يكون بَلَغَه أنّا نَلْعَب بها ولا أن يُبادر فَيُنْكر فبادرْت بالاقْرار اشْفاقا على نفسى وعليه وقلتُ ان كان تَوْبيخ فَدَيْتُه من المُواجَهة به فقلتُ له يابنىّ فَلِمَ تقول أُلاعبُه مُخاطرةً كأنكَ تُقامر أخالكَ وتستكثر ماله فقال كَلّا ولكنه يَسْتَحْسن الدَواة التى وهَبَها لى أميرُ المؤمنين فَعَرَضْتُها عليه فأبَى قبولَها وطَمِعْت أن يُلاعبَنى فأُخاطره عليها وهو يَغْلبُنى فَتَطيب نفسُه بأخْذها فقلت لها ياأُمّاه ما كانت هذه الدواة فقالت انّ جعفرا دَخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الاحمر مُحَلاة بالياقوت الازرق والاصفر فرآه يَنْظُر اليها فَوَهَبها له فقلت ايه فقالت ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعتذَرْت بما سمعتُ

فما عُذْرُكَ من الرضا بمُناصَبَة أبيك حين قال لاعبْه وأنا معك فقلتَ أنتَ نَعَمْ وقال هو لا فقال عَرَفْت انه غالبُني ولو فتر لَعِبُه لتغالبتُ له مع مالَه من الشَّرَف والسُّرور بتحيُّز أبيه اليه قال محمد بن عبدالرحمن فقلت بَخٍ بَخٍ هذه والله السيادة ثم قلت لها ياأُمّاه أكان منهما مَن بَلَغ الحُلُم فقالت يابنيّ أين يُذْهَب بك أُخْبِرُكَ عن صَبيَّيْن يَلْعَبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نَنْهى الصَّبيّ اذا بَلَغ العَشْر وحَضَر من يُسْتَحيى منه أن يَبْتَسم

دُرَّتا زَيْنٍ لقُرَّتَيْ عَيْن

يحكى أنّ الفضل بنَ سهل أرسلَ وَهْب بن سعيد الى فارس مُحاسبًا لعُمّالها فَبَلَغَه أنه خانَ فَعَزَله وسَخط عليه وبعث به الى أخيه الحَسَن ابن سهل لينظر فى أمره فأحسّ وهب بن سعيد بالشّر فأوصى الى رَجل من أهل واسطَ ثقةٍ مُوسرٍ يَتَحَرَّف بالجزارة ويَتَّجر فى الجُلود فأعطاهُ مالا عظيما وضَمّ اليه وَلَدَيْه الحَسَنَ وسليمان وهما صغيران ثم توجَّه وهبُ الى بَغْداد فَغَرق وهَلَكَ غَرَقًا فلما بلغ ذلكَ الوصيَّ أخبر به الغُلامَيْن وقال اختارا حرفةً تَحْتَرفان بها وان اخترتُما الجزارةَ وبيعَ الجُلود بَصَّرْتكما بذلكَ ولكما عندى مالٌ سأشترى لكما به ضِياعًا تَسْتَظْهران بها على أحْداث الزمان فقالا مالَنا ولحَرف العوامّ وصناعاتهم وانما حرفة أمثالنا

جَزْر أعناق الرّجال فى القَراطيس فَسمع الجزار كلامًا لاعَهْد له بسَماع مثله فَنَبَّههما الوصىّ ورأى بَرًّا ليس من سوقه فضمّ اليهما مَن يؤدّبهما ويُصْلح من شأنهما فلما اشتدّا قالا لوصيّهما انّ واسطَ لاتَنى لنا بما نَرومه من العلْم ونُؤَمّله من الرّآسة فقال لهما الوصى انّ مثلَكما لايُوَلّى عليه فَرُانى بأمْركما أُطِعْ فقالا له جَهّزْنا الى مُعْتَرَض العلماء ومستقرّ الخلفاء فجهزهما الى بَغْداد ودَفع اليهما من المال ما أحبّاه وذَكر الصُولى أنه دفع اليهما مالَهُما كلَّه فلما صارا الى بغداد نالا ما أمّلا من الرآسة والعلم ثم كتبا معًا فى دار المأمون فى حال غُلُوميّتهما وصغَر سنّهما ورأى المأمون يوما أحدَهما فى الدار يمشى فقال له من أنتَ ياغلام فقال أنا الناشئ فى دولَتك المُعْتَذى بنعمتك المكرَّم بخدْمتك عبدُك وابن عبدك سليمان ابن وهب فقال المأمون أحسنتَ ياغلام ثم ان المأمون دعا سليمان ابن وهب وهو غلام فأمرَه أن يكتُب بين يديه كتابا لم يبلُغْ قدرُه أن يكتُبَ مثلَه فحرّره على ما أراد المأمون على أحْسَنِ خطّ وأصح ضَبْطٍ وأسهل لفظ وأجود معنًى فَسُرّ به المأمون سرورا ظهر عليه فلما خرج سليمان كتب اليه بعض اخوان أبيه يقول

أبولَكَ كَلَفَكَ الشأو البعيد كما * قدْمًا تكلّفه وهْبُ أبو حَسَنِ
فلستَ تُحْمد ان أدركتَ غايتَه * ولستَ تُعْذَر مسبوقا فلا تَهِنِ

ولم تزل أمورهما تنمى حتى نالا الوزارة وحكى أنّ ابن يزيد بن محمد المُهَلَّبي وفَد على سليمان بن وَهْب حين استُوزر فَسُرَّ به وعَرف له فضلَه وأجْلَسَه الى جانبه فأنشده قولَه

وَهَبْتم لنا يا آل وَهْب مَوَدَّةً * فأبقتْ لنا مالًا ومجدًا يُؤَثَّل
فمن كان للآثام والذُّلّ أرضُه * فأرضُكمُ للاجْر والعزّ مَنْزل
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ فضلكم * فقد سألوكم فوق ما كان يُسْئل
يُقَصّر عن مَسعاتكم كلُّ آخرٍ * وما فاتكم ممن تقدَّم أوّل
بلغتُ الذى قد كنتُ آمُلُه لكم * وان كنت لم أبلُغ بكم ما أؤمّل

فقطَع عليه سليمانُ انشادَه وقال لاتقل ذلك أصلحك الله وانك عندى كما أنشدنى عمارةُ بنُ عَقيل بن بلال بن جَرير حيث قال

أُقَهْقِهُ مسرورا اذا أنتَ سالمٌ * وأبكى من الاشواق حين تغيب

فقال له المُهَلَّبي فليَسمع الوزير من آخر الشعر ما يَحْقِر أوّله فقال هات فانشأ يقول

ومالى حقٌّ واجب غيرَ أننى * بجودكمُ فى حاجتى أتوسّل
وانكمُ أفضلتمُ وبرزتمُ * وقد يَسْتَتِمُّ النعمةَ المتفضل
وأوليتمُ فعلا جميلا مقدّما * فعودوا فانّ العود بالخيرِ أجملُ
فكم مُلْحِفٍ قد نال مارام منكمُ * ويمنعُنا عن مثل ذالكَ التجمُّل

وعوّدتمونا قبلَ أن نسألَ الغنَى * ولا وجه للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال سليمان والله لاتبرح حتى أقضي حوائجك كائنةً ما كانت ولولم أفد مما أنالني أمير المؤمنين الا شكرك لرأيت بذلك جنابي مُمرعا وزرعي مُرتعا ثم وقع له في رقاع كثيرة كانت معه بجميع ماأراد

وقال أبو الطيّب يمدح أبا شُجاع فاتكًا

وكان يلقب بالمجنون

لاخيلَ عندكَ تُهديها ولامالُ * فليُسعد النُطْقُ ان لم تُسعد الحالُ

واجْزِ الاميرَ الذي نُعماهُ واجبةٌ * بغير قول ونُعمَى الناس أقوالُ

فربما جَزَت الاحسانَ مُوليَه * خَريدةٌ من عَذارى الحَيّ مكسالُ

وان تكن مُحكماتُ الشكل تمنعني * ظهورَ جَرْي فلي فيهنّ تَصْهال

وما شَكَرْتُ لأنّ المالَ فَرَّحَني * سيّان عندي اكثارٌ وإقلال

لكن رأيتُ قبيحًا أن يُجادَلنا * وأننا بقضاء الحق بُخّال

فكنتُ مُنبتَ رَوْضِ الحَزْنِ باكرَه * غيثٌ بغير سباخ الارض هَطّال

غيثٌ يُبَيّن للنُظّار موقعُه * أنّ الغُيوثَ بما تأتيه جُهّال

لايُدرِكُ المجدَ الاّ سَيّدٌ فَطِنٌ * لِمَا يَشُقّ على السّادات فَعّال

لا وارثُ جَهلتْ نُعماه ماوهبتْ * ولا كسوبٌ بغير السيف سَئّال

قال الزمانُ له قولا فأفهمه * أنّ الزمان على الامساكِ عَذّال

تدرى القنـاةُ اذا اهتزّت براحته * أنّ الشّقيّ بها خيـــلٌ وأبطال
كفاتكٌ ودُخول الكاف مَنْقَصَةٌ * كالشمس قُلْتُ ومالِلشمس أمثال
القائدُ الأسْـدَ غَذّتْها بَرائنُـــه * بمثْلها من عداهُ وهى أشْـــبال
القاتل السيفَ فى جسم القتيل به * وللسُّـــيوف كما للناس آجالُ
تَغـير عنه على الغارات هَيْبَتُـه * ومالَهُ بأقاصى البِـرّ أهْـمَال
له من الوَحْش ما اختارت أسنّتُه * عَـــيْرٌ وهَيْقٌ وخَنْسـاءُ وذَيّال
تُمسى الضُّـيُوف مُشَهّاةً بعَقْوَته * كأن أوقاتها فى الطيب آصال
لو اشـتهتْ لَحْمَ قاريها لَبـادَرها * خَرَاذلٌ منه فى الشِيزَى وأوْصال
لا يعرف الرُّزْءَ فى مال ولا ولد * الا اذا احتفز الضـيفانَ تَرْحال
يُرْوِى صَدَى الارض من فَضْلات ما شَربوا
مَحْضُ اللِّقَـــاح وصَافى اللَّون سَلْسال
تَقْرى صَوَارِمُه الساعاتِ عَبْطَ دَم * كأنما السّاعُ نُزّال وقُفّال
تجرى النفوس حوالَيْـه مُخَلّطةً * منها عُـــدَاةٌ وأغنامٌ وآبالُ
لا يُحْرِم البعدُ أهلَ البعد نائلَه * وغيرُ عاجزة عنـــه الأُطَيْفَال
أمضَى الفريقين فى أقرانه ظُبَةً * والبيضُ هاديةٌ والسُّمْرُ ضُـلّال
يُريكَ مَخْـبَرُه أضعافَ مَنْظَره * بين الرجال وفيها الماء والآل
وقد يُلَقّبُه المجنونَ حاسِـدُه * اذا اختلطْنَ وبعضُ العقل عُقّال

يَرْمى بها الجيشَ لابدٌّ لَهُ ولها * من شَقّه ولو انّ الجيشَ أجبال
اذا العدَى نَشِبَت فيهم مَخالبُـه * لم يَجْتَمِـع لهـم حِلمٌ وريبال
يَروعُهم منـه دهرٌ صَرْفُه أبدًا * مُجاهِرٌ وصُروف الدهر تَغْتال
أنا له الشرفَ الأعلى تَقَدُّمُه * فَما الذى بتَوَقّى ما أتَى نالُوا
اذا المُلوكُ تحلّت كان حليتَـه * مُهَنَّـدٌ وأصَمُّ الكعب عَسّال
أبو شجاع أبو الشُّجْعان قاطبةً * هَوْلٌ تَمَتْـه من الهَيجاء أهوال
تَمَلَّكَ الحمـدَ حتى ما لمُفْتَخِر * فى الحمـد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دال
عليه منـه سرابيلُ ضاعفةٌ * وقد كفاه من المأذىّ سِرْبال
وكيف أسْتُرُما أولَيْتَ من حَسَنٍ * وقد غمرتَ نَوالا أيُّها النّال
لَطَّفْتَ رأيَكَ فى بِرّى وتكرمتى * انّ الكريم على العَلْياء يَحْتال
حتى غـدوتَ وللاخبار تَجْوال * وللكواكب فى كفّيـكَ آمال
وقد أطالَ ثَنائى طُولُ لابسه * انّ الثناء على التِنْبال تِنْبال
ان كنتَ تكْبُرأن تختال فى بَشَرٍ * فانّ قدرَكَ فى الأقدار يختال
كأنّ نفسكَ لاتَرْضـاكَ صاحبَها * الا وأنتَ على المفضال مفضال
ولا تَعُـدّكَ صَـوّانا لمهجتها * الا وأنت لها فى الرَّوْع بَذّال
لولا المَشَـقّة ساد الناسُ كلُّهـم * الجودُ يُفقِر والاقْـدام قَتّال
وانما يَبْلغ الانسانُ طاقتَـه * ما كُلُّ ماشِـيَةٍ بالرِّجْل شِمْلال

انا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واجمال
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * ماقاته وفضول العيش أشغال

قال أبو الطيب المتنبى يرثى أبا شجاع فاتك

الحزن يقلق والتجمل يردع * والدمع بينهما عصى طيع
يتنازعان دموع عين مسهد * هذا يجىء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبى شجاع نافر * والليل مغمض والكواكب طلع
إنى لأجبن من فراق أحبتى * وتحس نفسى بالحمام فأشجع
ويزيدنى غضب الأعادى قسوة * ويلم بى عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه * ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع
لم يرض قلب أبى شجاع مبلغ * قبل الممات ولم يسعه موضع
كنا نظن دياره مملوءة * ذهبا فمات وكل دار بلقع
واذا المكارم والصوارم والقنا * وبنات أعوج كل شئ يجمع
المجد أخسر والمكارم صفقة * من أن يعيش بها الكريم الأروع
والناس أنزل فى زمانك منزلا * من أن تعاينهم وقدرك أرفع

بَرِّد حشاىَ ان استطعتَ بلفظة * فلقد تَضُرّ اذا تشاء وتَنفع

ما كان منكَ الى خليلٍ قبلها * ما يُستَراب به ولا ما يُوجع

ولقد أرالكَ وما تُلِمّ مُلِمّةٌ * الا نفاها عنكَ قلبٌ أصْمَع

ويدٌ كأنّ قتالها ونوالها * فرضٌ يَحُقّ عليكَ وهو تبرّع

يامَن يُبدّل كل يومٍ حُلّةً * أنّى رضيتَ بحُلّةٍ لا تُنزَع

مازلتَ تخلعها على مَن شاءها * حتى لبستَ اليومَ مالا تخلع

مازلت تدفع كل أمرٍ فادحٍ * حتى أتى الامرُ الذى لا يُدفَع

فظللتَ تنظر لارماحكَ شُرَّعٌ * فيما عراكَ ولا سيوفكَ قُطَّع

بأبى الوحيدَ وجيشُه متكاثرٌ * يبكى ومن شَرّ السلاح الأدمع

واذا حصلتَ من السلاح على البكا * فَلَشالُ رُعتَ به وخَدلٌ تقرع

وصلتْ اليكَ يدٌ سواءٌ عندها * ألبازُ الأشهبُ والغرابُ الأبقع

مَن للمحافل والخوافل والسُّرَى * فقدتْ بفقدكَ نيّرا لا يطلع

ومَن اتخذتَ على الضُّيوف خليفةً * ضاعوا ومثلُكَ لا يكاد يُضيّع

قُبحًا لوجهكَ يا زمانُ فانه * وجهٌ له من كل لُؤمٍ بُرقُع

أيموت مثلُ أبى شُجاعٍ ذا ندًى * ويعيش حاسدُه الخصىُّ الأوكع

أيدٍ مُقطّعةٌ حوالَى رأسه * وقفًا يصيح بها ألا مَن يصفع

أبقيتَ أكذبَ كاذبٍ أبغيتَه * وأخذتَ أصدقَ من يقول ويسمع

وتركت أنتن ريحة مذمومة * وسلبت أطيب ريحة تتضوّع
فاليوم قرّ لكل وحش نافر * دمه وكان كأنه يتطلّع
وتصالحت تمر السياط وخيله * وأوت اليها سوقها والأذرع
وعفا الطراد فلا سنان راعف * فوق القناة ولا حسام يلمع
ولّى وكلّ مخالم ومنادم * بعد اللزوم مشيّع ومودّع
من كان فيه لكل قوم ملجأ * ولسيفه فى كل قوم مرتع
إن حلّ فى فرس ففيها ربّها * كسرى تذلّ له الرقاب وتخضع
أو حلّ فى روم ففيها قيصر * أو حل فى عرب ففيها تبّع
قد كان أسرع فارس فى طعنة * فرسا ولكنّ المنيّة أسرع
لاقلّبت أيدى الفوارس بعده * رمحا ولا حملت جوادا أربع

وللمتنبى يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم
ويعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همّه * وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ماعند نفسه * وذلك مالا تدّعيه الضراغم
يقدّى أتمّ الطير عمرا سلاحه * نسور الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرّها خلق بغير مخالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

هل الحدث الحمراء تعرف لونها * وتعلم أى الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله * فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا * وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فردتها * على الدين بالخطى والدهر راغم
تفيت الليالى كل شئ أخذته * وهن لما يأخذن منك غوارم
وكيف ترجى الروم والروس هدمها * وذا الطعن آساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنايا حواكم * فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أولئك يحرون الحديد كأنهم * سروا بجياد مالهن قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم * ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه * وفى أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة * فما تفهم الحداث الا التراجم
فلله وقت ذوب الغش ناره * فلم يبق الا صارم أو ضبارم
تقطع مالا يقطع الدرع والقنا * وفر من الابطال من لا يصادم
وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى * الى قول قوم أنت بالغيب عالم

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِم على القلب ضَمَّةً * تَمُوتُ الخَوافِي تحتَها والقوادم

بضَرْبٍ أتى الهامات والنصرُ غائب * وصار الى اللَّبَّات والنصرُ قادم

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّات حتى طرحتَها * وحتى كأنّ السيف للرُّمح شاتم

ومَن طلبَ الفتحَ الجليلَ فانما * مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصوارم

تَنَرْتَهُمُ فوق الأَحَيْدبِ نَثْرَةً * كما نُثرت فوق العَروس الدراهم

تَدُوسُ بك الخيلُ الوُكورَ على الذُّرَى * وقد كُثِرَتْ حولَ الوُكور المَطَاعم

تَظُنّ فِراخُ الفَتْخ أنكَ زُرْتَها * بأُمَّاتها وهي العِتاق الصَّلادم

اذا زَلِقَتْ مَشْيَتُها ببطونها * كما تتمشّى فى الصَّعيد الأراقم

أفى كل يوم ذا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِم * قفاهُ على الاقدام للوجه لائم

أيُنْكِر ريحَ الليث حتى يَذُوقَه * وقد عَرَفَتْ ريحَ الليوث البهائم

وقد جَمَعَتْه بابْنِه وابن صِهْره * وبالصِّهر جَحْلات الأمير الغواشم

مَضَى يَنْكُر الاصحابَ فى فَوْته الظُّبا * بما شَغَلَتْها هامُهم والمعاصم

ويَفْهَم صوتَ المَسْرَفيّة فيهمُ * على أنّ اصواتَ السُّيوف أعاجم

يُسَرُّ بما أعطاكَ لا عن جَهالَةٍ * ولكنّ مَغْنوما نَجا منكَ غانم

لكَ الحمدُ فى الدُّرِّ الذى لى لَفْظُه * فانكَ مُعْطيه وانىَ ناظم

وانى لَتَعْدو بى عطاياكَ فى الوَغَى * فلا أنا مذموم ولا أنت نادم

على كلّ طيّار اليها برِجْله * اذا وقعَت فى مَسْمَعَيْه الغماغم

ألا أيها السيف الذى لستَ مُغْمَدًا * ولا فيكَ مُرْتَابٌ ولا منكَ عاصم
هنيئًا لضرب الهام والمجد والعُلا * وراجيكَ والاســـلام أنكَ سالم
ولم لا يَقِى الرحمنُ حَـدّيكَ ما وَقَى * وتَفْليقُـــه هامَ العِدَى بكَ دائم

بعض حكم المتنبى

ذَلّ مَن يَغْبِطُ الذليلَ بعَيْشٍ * رُبَّ عَيْشٍ أخَفّ منه الحِمام
كل حِلْمٍ أتى بغير اقْتِدار * حُجّـــةٌ لاجئٌ إليها اللئام
مَن يَهُنْ يَسْهُل الهوان عليه * ما لِجُـــرْحٍ بمَيّتٍ إيلام

وقال أيضا

أفاضِلُ الناس أغراضٌ لِذَا الزَمَن * يَخْلو من الهَمّ أخْلاهُمْ من الفِطَن

وقال أيضا

واذا أتَتْكَ مَذَمّتى من ناقِصٍ * فهى الشهادةُ لى بأنّى كامل

وقال أيضا

ومَن يُنْفِق السّاعاتِ فى جَمْعِ مالِه * مخافةَ فَقْرٍ فالذى فَعَـــل الفقر

وقال أيضا

ومن نَكَدِ الدنيا على الحرّ أن يَرَى * عَـدُوًا له ما من صَـــداقته بُدّ
وأُكْبِرُ نفسى عن جَزاءِ بغيبـــةٍ * وكلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَن لاله جُهْد

وقال أيضا

من الحلم أن تستعمل الجهلَ دونهَ * اذا اتَّسعَت فى الحلم طُرْقُ المظالم

وقال أيضا

اذا لم تكن نفسُ النسيب كأصله * فماذا الذى تُغْنى كِرامُ المَناصب

وقال أيضا

والهَمّ يَخْتَرِم الجسيم نحافةً * ويُشيب ناصيةَ الصَّبىّ ويُهرِم

ذو العقل يَشْقَى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة يَنْعَم

لا يَسْلَمِ الشرف الرفيع من الاذَى * حتى يُراق على جوانبـــه الدَمُ

والظُلم من شِيَم النُفوس فان تجدْ * ذا عفّـــةٍ فلعـــلّةٍ لا يَظـــلِم

ومن البلية عَذْلُ مَن لا يَرْعَوِى * عن جهله وخطاب من لا يَفهم

والذُّلُّ يُظهِـر فى الذليـل مودّةً * وأودّ منـــه لِمَن يَوَدّ الأرْقَـم

ومن العَـداوة ما يَنـالُكَ نفعُـه * ومن الصَـداقة ما يَضُـرُّ ويؤلِم

وقال أيضا

يرى الجُبَناءُ أنّ العجز عقلٌ * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكُلُّ شَجاعةٍ فى المرء تَغْنَى * ولا مثلَ الشجاعة فى حكيم

وكم من عائبٍ قولا صحيحا * وآفَتُـه من الفهم السـقيم

وقال أيضا

والاسَى قبل فُرْقة الروح عجزٌ * والاسى لا يكون بعد الفراق

والغـنَى فى يد اللئيم قبيحٌ * قَدْرَ قُبْحِ الكريم فى الاملاق

وقال أيضا

واذا كانت النُفوس كِبارًا * تَعِبَتْ فى مُرادِها الاجسام

وقال أيضا

ولو كان النساء كَمَنْ فَقَدْنا * لَفُضِّلَتْ النساءُ على الرجال

وما التأنيث لاسمِ الشمس عَيْبٌ * ولا التذكيرُ فخرٌ للهـلال

فان تَفُق الانامَ وأنت منهم * فانّ المسكَ بعضُ دم الغزال

وقال أيضا

مَن كان فوقَ محل الشمس موضعُه * فليس يَرْفَعُـه شئٌ ولا يَضَـع

فقـد يُظَنّ شُجاعا مَن به خَرَقٌ * وقـد يُظَنّ جبانًا مَن به زَمَع

انّ السـلاحَ جميعُ الناس تحمِلُه * وليس كلُّ ذوات المخْلَب السبُع

وقال أيضا

وما الخَوْف الا ما تَخَوّفَه الفتى * ولا الأَمْن الا ما رآه الفتى أَمْنا

وقال أيضا

وحيدٌ من الخِلّان فى كل بلدة * بذا قضَت الايام مابين أهلها * مصائب

وقال أيضا

وفى ثَعَبٍ مَن يَحْسُدُ الشمسَ ضوءَها * ويَجْهَدُ أن يأتى لها بضريب

وقال أيضا

ومَن صَحِبَ الدنيا قليلا تقلَّبت * على عينه حتى يرى صدقَها كَذِبا
ومَن تَكن الأُسْد الضَّوارى جُدُودَه * يكن ليلُه صُبْحًا ومَطْعَمُه غَصْبا

وقال أيضا

أَعيذُها نظَراتٍ منكَ صادقةً * أن تَحْسَبَ الشحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ
وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظُّلَمُ
اذا رأيتَ نُيوبَ الليث بارزةً * فلا تَظُنَّنَّ أنّ الليثَ يبتسم
وبيننا لو رعيتم ذاكَ معرفةٌ * انّ المعارفَ فى أهل النُّهى ذِمَم
شرُّ البلاد مكانٌ لاصديقَ به * وشرما يكسبُ الانسانُ مايَصم
وشر ماقَنَصَتْه راحتى قَنَصٌ * شُهْبُ البُزاة سواءٌ فيه والرَّخَم

وقال أيضا

لعلّ عَتْبَكَ محمودٌ عواقبُه * وربما صَحَّت الاجسام بالعلل
لانّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لاتُكَلِّفُه * ليس التكحُّلُ فى العينين كالكحل

وقال أيضا

وليس يَصِحُّ فى الافهام شىءٌ * اذا احتاجَ النهارُ الى دليل

وقال أيضا

وما كَيْدُ الحسادِ شيءٌ قصـــدتُه * ولكنه مَن يَرْحَـــم البحرَ يَغْرَق

واطراقُ طرف العين ليس بنافعٍ * اذا كان طرفُ القلب ليس بمُطْرِق

وقال أيضا

أيدرى ما أرابكَ مَن يُريب * وهل تَرْقَى الى الفَلَكِ الخُطوب

وقال أيضا

وما قَتَـلَ الاحرارَ كالعفو عنهـم * ومَن لكَ بالحر الذى يَحْفظ اليَـدا

اذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ ملكتَه * وان أنت أكرمتَ اللئـــيمَ تَمَرَّدا

ووضْعُ النَدى فى موضع السيف بالعُلَى * مُضِرٌّ كوضْع السيف فى موضع الندى

وقال أيضا

وأتعبُ مَن ناداكَ مَن لا يُجيبه * وأغيظ مَن عاداكَ مَن لا تُشاكِل

وقال أيضا

على قَدْر أهل العَزْم تأتى العزائمُ * وتأتى على قدر الكرام المكارم

وقال أيضا

وما الحُسْنُ فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى فعـله والخـلائق

وما بلدُ الانسـان غـيرُ الموافق * ولا أهـلُه الأدْنَوْنَ غيرُ الاصادق

وقال أيضا

واذا لم تجدْ من الناس كفؤا * ذاتُ خِدْر تَمَنَّتِ الموتَ بعـلا

واذا الشـيخُ قال أُفٍّ فمَـلّ حياةً وانما الضَعْفَ مَـلّا
آلةُ العَيش صِحّـةٌ وشبابٌ * فاذا وَلّيـا عن المـرء ولّى

وقال أيضا

واذا ما خلا الجبـان بأرض * طلب الطعنَ وحْـدَه والنزالا
مَن أرادالتماسَ شئ غـلابًا * واغْتصابا لم يلتمسْه سُـؤالا
كـلُّ غادٍ لحاجَـةٍ يتمنى * أن يكون الغضـنفرَ الرِّئبالا

وقال أيضا

الرأىُ قبلَ شَجاعة الشُجعان * هو أولٌ وهى المحـلّ الثانى
ولربما طَعَن الفـتى أقرانَه * بالرأى قبل تَطاعُن الأقران
لولا العُقول لكان أدنى ضَيْغَم * أدنى الى شرفٍ من الانسان

وقال أيضا

وعادَ فى طَلَب المَثْرولةُ تاركُهُ * انا لَنَغْفُل والأيام فى الطلب
وما قَضى أحدٌ منها لُبانَتَـه * ولا انتهى أَرَبٌ الا الى أرب
ومن تَفَكّر فى الدنيا ومُهجتِه * أقامَه الفكر بينَ العَجْز والتعب

وقال أيضا

اذا كنتَ تَرْضى أن تعيش بذلّة * فلا تَسْتَعِدَّنّ الحسامَ اليمانيا
فما يَنْفَع الأُسْدَ الحياءُ من الطَوَى * ولا تُتَّقَى حـتى تكونَ ضواريا

اذا الجود لم يُرزَق خلاصا من الأذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المالُ باقيا

وللنفس أخلاقٌ تَدُلّ على الفتى * أكان سَخاء ما أتى أم تَساخيا

وقال أيضا

فما الحـــدثانُ عن حِلْمٍ بمانعَـــةٍ * قد يوجَد الحلم فى الشُّبّان والشيب

وقال أيضا

وما الصارم الهندىّ الا كغيره * اذا لم يُفارِقْه النجاد وغمـــدُه

وقال أيضا

اذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءت ظُنونُه * وصَـدَّقَ ما يَعْتادُه من تَوَهُّـم

وأَحْـــلُمُ عن خِلّى وأعـــلمُ أنه * متى أَجْزِه حلما على الجهل يَنْدَم

لَمَنْ تطلُب الدنيا اذا لم تُرِد بها * ســـرورَ مُحِبٍّ أو اساءَةَ مُجْرِم

وقال أيضا

انما تَنْجَح المقالة فى المَـــرْ * ءِ اذا وافقَتْ هوًى فى الفؤاد

وقال أيضا

وكُلُّ امرئٍ يُولِى الجميـــلَ مُحَبَّبٌ * وكُلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِـــزَّ طَيِّبُ

ولو جازَ أن يَحْوُوا عُلاكَ وهبتَها * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب

وقال أيضا

ما كـــل ما يتمنى المرءُ يدركُه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

وقال أيضا

غيرَ أن الفتى يُلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا

واذا لم يكن من الموت بُدٌّ * فمن العجز أن تكون جبانا

كل مالم يكن من الصَّعْب فى الأنـ * ـفس سَهْلٌ فيها اذا هو كانا

وقال أيضا

لولا المَشَقّة ساد الناسُ كلُّهم * الجود يُفْقِر والاقدام قَتّال

وقال أيضا

ولم أرَ فى عُيوب الناس شيأ * كنَقْص القادرين على التمام

وقال أيضا

وللسِّرّ منى موضع لا يناله * نديمٌ ولا يُفضى اليه شرابُ

أعَزّ مكانٍ فى الدُّنا ظَهْرُ سابحٍ * وخيرُ جَليسٍ فى الزمان كتاب

وقال أيضا

ومَن جَهِلَتْ نفسُه قدرَه * رآى غيرُه منه مالا يرى

وقال أيضا

أين الذى الهَرَمان من بنيانه * ما قومُه مايومُه ما المصرَع

تتخلّف الآثار عن أصحابها * حينًا ويدركها الفناء فتتبع

وقال أيضا

ولم تزل قِلّة الانصاف قاطعةً * بين الانام ولو كانوا ذوى رَحم

وقال أيضا

ذَرِينى أَنَلْ مالا يُنَال من العُلَى * فَصَعْبُ العلى فى الصعب والسهل فى السهل

تُرِيدِينَ لِقْيان المعالى رَخيصةً * ولا بُدَّ دونَ الشهد من إبر النحل

قال أبو فراس الحمدانى يصف قتال سيف الدولة لاهل قنسرين وقبائل العرب

ولما سار سيفُ الدين سِرْنا * كما هيَّجْتَ آسادًا غضابا

أسنَّتُه اذا لاقَى طعانا * صوارمه اذا لاقَى ضرابا

دعانا والأسنة مُشْرَعات * فكنَّا عند دعوته الجوابا

صَنائع ذاقَ صانعُها ففاقتْ * وغَرْسٌ طاب غارسُه فطابا

وكنَّا كالسهام اذا أصابت * مرامِيَها فرامِيها أصابا

فلما اشتدّتْ الهيجاء كُنَّا * أشدّ مخالبًا وأحدّ نابا

وأمنع جانبًا وأعزّ جارًا * وأوفَى ذمّةً وأقلّ عابا

سقينا بالرماح بنى قُشَير * ببطن العنتر السُّمّ المُذابا

وسرنا بالخيول الى نُمَيْر * تجاذبُنا أعنّتها جذابا

ولما أيْقَنوا أن لا غياثٌ * دَعَوْه للغوثة فاستجابا

وعادَ الى الجميل لهم فعادوا * وقد مدّوا لما يهوَى الرقابا

أمَرَّ عليهمُ خوفا وأمْنًا * أذاقهمُ به أرْنًا وصابا

أحَلَّهُم الجزيرةَ بعـــدَ يأسٍ * أخُو حـلمٍ اذا ملَكَ العقـابا
ديارهـم انتَزَعْنـاها اقْتسارا * وأرضُهُمُ اغتصبناها اغتصابا
ولو رُمْنـا حمَيناهـا البوادى * كما تَحْمى أسـودُ الغاب غابا
اذا ماأرسل الأُمَراءُ جيشـا * الى الأعداء أرسـلنا الكتابا
أنا ابنُ الضاربين الهـامَ قدْمًا * اذا كَرِه المُحامون الضـــرابا
ألم تعـلَمْ ومثلُكَ قال حقـا * بأنى كنتُ أقْتَحِمُ الشهـــابا

كتب أبو بكر الخوارزمى الى تلميذه قد ظهر عليه الجُدَرى

وصَلَنى خبر الجُدَرى فنال منى وهَيج حَزَنى وراعَ قلبى وأسهر عينى وهذه العلّة وان كانت مُوجِعَه وفى رأى العَين فظيعة شنيعة فانها الى السلامة أقرب وطريقُها الى الحياة أقصَد لأنّ عينَ الطبيب تقع عليها وظاهرُ الداء أسلم من باطنه وبارزُ الجُرْح أهون من كامنه ولَعَمْرى أنها تورثُ سوادَ اللون وتَذْهَبُ من الوجه بديباجَة الحُسْن ولكن ذلك يسيرٌ فى جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفـة ولستُ أستطيع لكَ غيرَ الدُّعاء لاأسأل صحتَكَ الا ممن خَلَق علتَّكَ وأرى لكَ أن تُحْسن ظنَّكَ بربّكَ وتستغفر من ذنبكَ وتجعل الصدقة شَفيعَكَ واليقين طبيبَكَ وتعلم أنه لادواءَ أدْوَأُ من أجَل ولا دواءَ أشفَى من مَهَل ولا فِراشَ أوطأُ من أمَل شَفاكَ الله تعالى وحَسْبُكَ به طبيبا

المقامة الحرزية للبديع الهمذانى

حدثنا عيسى بن هشام قال لما بلغت بى الغربة باب الأبواب ورضيت من الغنيمة بالاياب ودونه من البحر وثاب بغاربه ومن السفن عساف براكبه استخرت الله فى القفول وقعدت من الفلك بمثابة الهلك ولما ملكنا البحر وجن علينا الليل غشيتنا سحابة عد من الامطار جبالا وتحود من الغيم جبالا بريح ترسل الامواج أزواجا والامطار أفواجا وبقينا فى يد الحين بين البحرين لاتملك عدة غير الدعاء ولا حيلة الا البكاء ولا عصمة غير الرجاء وطوينا ها ليلة نابغية وأصبحنا نتباكى ونتشاكى وفينا رجل لايخضل جفنه ولا تبتل عينه رخى الصدر منشرحه نشيط القلب فرحه فعجبنا والله كل العجب وقلنا له ما الذى آمنك من العطب فقال حرز لايفرق صاحبه ولو شئت أن أمنح كلا منكم حرزا لفعلت فكل رغب اليه وألح فى المسألة عليه فقال لن أفعل ذلك حتى يعطينى كل واحد منكم دينارا الآن ويعدنى دينارا اذا سلم قال عيسى بن هشام فنقدناه ماطلب ووعدناه ماخطب وأبت يده الى جيبه فأخرج قطعة ديباج فيها حقة عاج قد ضمن صدرها رقاعا وحذف كل واحد منا بواحدة منها فلما سلمت السفينة وأحللنا المدينة اقتضى الناس ماوعدوه فنقدوه وانتهى

الامرُ الىَ فقال دَعوه فقلتُ لكَ ذلكَ بعدَ أن تُعْلِمَنى سرّ حالكَ قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نَصرَكَ الصبرُ وخَذَلَنا فأنشأ يقول

وَيْكَ لولا الصبرُ ما كنتُ ملأتُ الكيسَ تبرا
لَن يَنالَ المجدَ مَن ضا * ق بما يَغْشاه صَدْرا
ثم ماأعقبنى السـ * ـعةَ ما أعْطيتُ ضُرّا
بل به أشتدَّ أزرًا * وبه أجبرُ كسرا
ولوَ انّى اليومَ فى العُـ * ـسْرِ فى لَما كُنتُ عُذرا

المقامة البشرية له

حدثنا عيسى بنُ هشام قال كان بِشر بن عَوانة العَبدى صُعلوكا فأغار على رَكْب فيهم امرأةٌ جميلة فتزوّج بها وقال مارأيت كاليوم فقالت

أعجَبَ بِشْرًا حَورُ فى عَيـ * ـنى وساعدٌ أبيضُ كالثلجين
ودونَه مَسْرَح طرف العين * خَصَانَةٌ تَرفُل فى حِجلَين
أحسنُ مَن يمشى على رِجْلين * لوضَمَّ بِشرٌ بينها وبينى
ادامَ هجرى وأطال بينى * ولو يقيس زَيْنَها بِزَيْنى
لَأَسْفَرَ الصُّبْحُ لذى عَينين

قال بشر ويحك من عنيت فقالت بنت عمك فاطمة فقال أهي من الحسن بحيث وصفت قالت وأزيد وأكثر فانشأ يقول

ويحك ياذات الثنايا البيض * ماخلتني منك بمستفيض
فالآن اذ لوحت بالتعريض * خاوت جوا فاصفري وبيضي
لاضم جفناي على تغميض * مانم أسل عرضي من الخفيض

فقالت كم خاطب في أمرها ألحا * وهي اليك ابنة عم لحا

ثم أرسل الى عمه يخطب ابنته ومنعه العم أمنيته فآلى ألا يرعى على أحد منهم ان لم يزوجه ابنته ثم كثرت مضراته فيهم واتصلت معراته اليهم فاجتمع رجال الحي الى عمه وقالوا كف عنا مجنونك فقال لاتلبسوني عارا واسهاوني حتى أهلكه ببعض الحيل فقالوا أنت وذاك ثم قال له محمد اني آليت أن لا أزوج ابنتي هذه الا ممن يسوق اليها ألف ناقة مهرا ولا أرضاها الا من نوق نزاعة وغرض المرء كان أن يسلك بشر الطريق بينه وبين نزاعة فيفترسه الاسد لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق وكان فيه أسد يدعى دادا وحية تدعى شجاعا يقول فيهما قائلهم

أقتل من داد ومن شجاع * ان يك داد سيد السباع
* فانها سيدة الافاعي *

ثم انّ بِشْرًا سَلَكَ ذلكَ الطريق فما نَصَفَه حتى لَقِيَ الأسـد وقَصَ مُهْرُه فنزل وعَقَره ثم اخْتَرَطَ سيفَه الى الاسد واعترضه وقَطَّه ثم كتب بدَم الاسد على قميصه الى ابنة عَمّه

أفاطمُ لو شَهِدتِ ببطْنِ خَبْتٍ * وقد لاقى الهـزَبْرُ أخاكِ بِشْرا
اذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًـا زارَ لَيْثًـا * هَزَبْرًا أغْلَبًا لاقى هـزَبْرا
تَبَهْنَسَ حين أَحْجَم عنه مُهرى * مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهـرا
أنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْـرَ الارض انى * رأيتُ الارضَ أثبتَ منكَ ظَهرا
وقلتَ له وقـد أبدَى نِصالا * مُحَـدَّدةً ووَجْهًا مُكْفَهِـرّا
يُكَفْكِف غيـلةً احدَى يَدَيه * ويَبْسُـط للوُثوب على أُخْرَى
يَدُلّ بِمِخْلَب وبحـدّ نابٍ * وباللَّحَظات تَحْسَبُهُنّ جَمْـرا
وفى يُمْنَاىَ ماضى الحدّ أبقَى * بَمَضْـرِبه قِـراعُ الموت أُثْرا
ألم يَبْلُغْكَ ما فعلَت ظُباه * بكاظمةَ غَداةَ لَقيتُ عَمْـرا
وقلبى مثلُ قلبكَ ليس يَخشَى * مُصاولةً فكيف يَخاف ذُعْرا
وأنتَ تَروم للأشْـبال قُوتًا * وأطلبُ لابنـة الأعمام مَهرا
فقيمَ تَسومُ مثْـلى أن يُوَلّى * ويَجعل فى يديكَ النفس قَسْرا
نصحتُكَ فالتمِسْ ياليتُ غيرى * طَعاما إنّ لحمِى كان مُرّا
فلما ظَـنّ أنّ الغشّ نُصحى * وخالَفَـنى كأنى قلت هُجْـرا

مَشَى ومَشَيْتَ من أسَدَيْن رَاما * مَرَامًا كان اذ طَلَباه وَعْرا
هَزَزْتَ له الحُسامَ فَقُلْتَ أنى * سَلَلْتُ به لَدَى الظَلْماء فَجْرا
وجُدْتُ له بجائشةٍ أرَتْه * بأن كَذَبَتْه مامَنَّتْه غَدْرا
وأطلقتُ المُهَنَّد من يمينى * فَقَدَّ له من الاضلاع عَشْرا
نَفَرَّ مُجَدِّلًا بدَمٍ كأنى * هَدَمْتُ به بناءً مُشْمَخِرّا
وقلت له يَعِزّ علىَّ أنى * قتلتُ مُناسبى جَلَدًا وفَخْرا
ولكن رُمْتَ شيأ لم يَرُمْه * سوالَكَ فلم أطِقْ يالِيتُ صبرا
تُحاوِلُ أن تُعَلِّمَنى فِرارًا * لَعَمْرُ أبيكَ قد حاوَلْتَ نُكْرا
فلا تَجزع فقد لاقيتَ حُرًّا * يُحاذِر أن يُعابَ فَتَّ حُرَّا

فلما بلَغت الابياتُ عَمَّه نَدِم على مامنعه تزويجها وخشى أن تقتاله الحيّة فقام فى أثَره وبلَغه وقد مَلَكَتْه سَورَة الحيّة فلما رأى عَمَّه أخذته حَمِيّة الجاهلية فجعل يده فى فَم الحية وحَكَّم سيفَه فيها فقال

بِشْرُ الى المجد بعيدٌ هَمُّهُ * لما رآه بالعَراء عَمُّهُ
قد تَكَلَّتْه نفسُه وأُمُّهُ * جاشَتْ به جائشةٌ تُهِمُّهُ
قامَ الى ابنِ للفَلا يَؤُمُّهُ * فغاصَ فيه يَدُهُ وكُمُّهُ

ونفسُ

فلما قَتَل الحَيّة قال عَمُّه انى سـ

عنـانى عنـه فارجع لأزوّجك ابنتى فلما رَجَع جعل بِشْرٌ يملأ فَمَه نفرا حتى طَلَع أمْرَدُ كشقّ القمر على فَرَسه مُدَجَّجًا فى سلاحه فقال بِشْرٌ ياعمّ انى أسمع حسّ صَيْدٍ وخرج فاذا بغلام على قَيْدٍ فقال ثَكِلَتْكَ أمُّك يابِشْر أن قتلتَ دودةً وبَهيمةً تملأُ ماضغَيْكَ نفرًا أنتَ فى أمان إن سَلِمْتَ عَمَّكَ فقال بشر مَن أنت لا أمَّ لك قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثَكِلَتْكَ مَن سَلَحَتْكَ فقال يابشر ومَن سَلَحَتْكَ وكرّ كلٌّ واحد منهما على صاحبه فلم يتمكن بِشْرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً فى كُلْيَة بِشْرٍ كلما مَسَّه شَبَا السِّنان حماه عن بَدَنه إبقاءً عليه ثم قال يابِشْر كيف ترى أليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ثم ألقَى رُمْحَه واستلّ سيفه فضرب بِشْرًا عشرين ضربة بعَرْض السيف ولم يتمكن بِشْرٌ من واحدة ثم قال يابِشْر سَلِمَ عَمُّك واذهب فى أمان قال نعم ولكن بِشَريطة أن تقول لى من أنت فقال أنا ابْنُك فقال ياسبحان الله ماقارَبْتُ عَقيلةً قط فأنَّى هذه المِنْحة فقال أنا ابن المرأة التى دَلَّتْكَ على ابنة عمك فقال بِشْر

تلكَ العَصا من هذه العُصَيّه * هـل تَلِد الحَيّـــةُ الا الحَيّه

وحلفَ لاركِب حِصانًا ولا تزوّج حَصانًا ثم زوّج ابنة عمه لابنه

آداب الصداقة لابن مسكويه

يجب عليك متى حصل لك صديق أن تكثر مراعاته وتبالغ فى تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له أو حادث يحدث به فأما فى أوقات الرخاء فينبغى أن تلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وأن تظهر له فى عينك وحركاتك وفى هشاشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك ما يزداد به فى كل يوم وكل حال ثقة بمودتك وسكونا اليك ويرى السرور فى جميع أعضائك التى يظهر السرور فيها اذا لقيك فان التحفى الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل أمر غير مشكل ثم ينبغى أن تفعل مثل ذلك بمن تعلم أنه يؤثره ويحبه من صديق أو ولد أو تابع أو حاشية وتثنى عليهم من غير اسراف يخرج بك الى الملق الذى يمقتك عليه ويظهر له منك تكلف فيه وانما يتم لك ذلك اذا تواخيت الصدق فى كل ماتثنى به عليه والزم هذه الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفى حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة التامة ويهديك محبة الغرباء ومن لا معرفة لك به وكما أن الحمام اذا ألف بيوتنا وآنس لجالسنا وطاف بها يجلب لنا أشكاله وأمثاله فكذلك حال الانسان اذا عرفنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا الآنس بنا بل يزيد على الحيوان الغير الناطق

بحُسْن الوَصْف وجميل الثناء ونَشْر المحاسن واعلم أنّ مُشاركة الصَديق في السَّرّاء اذا كنت فيها وان كانت واجبـةً عليـكَ حتى لاتَسْـتأثِرها ولا تختص بشئ منها فانّ مُشاركَتـه في الضَّرّاء أوجب ومَوْقعها عنده أعظم وانظر عند ذلكَ إن أصابَتْه نَكْبة أو لَحَقَتْه مُصيبة أو عَثَر به الدهر كيف تكون مُواساتُكَ له بنفسكَ ومالكَ وكيف يظهر له تَفَقُّدُكَ ومراعاتكَ ولا تَنْتَظِرَنّ به أن يسألَكَ تَصْريحا أو تَعْريضا بل اطّلِعْ على قلبه واسْبِق الى مافي نفسه وشارِكْه في مَحْض مالَحَقه ليَخِفّ عنه وان بلغتَ مرتبـةً من السـلطان والغِنَى فانْعَس اخوانَكَ فيها من غير امتنان ولا تَطاوُل وان رأيتَ من بعضهـم نُبُوًّا عنـكَ أو نُقصانا مما عَهدته فَداخِلْه زيادةَ مُداخلة واختَلِط به واجتذبه اليكَ فانكَ ان أنِفْتَ من ذلكَ أو تَداخَلَكَ شئ من الكِبْر والصَّلَف عليهم انتقضَ حَبْلُ المودة وانْتَكَثَتْ قوتُه ومع ذلكَ فلستَ تأمَنُ أن يزولوا عنـكَ فتستحي منهم وتُضْطَرَّ الى قَطيعتهم حتى لاتَنظر اليهم ثم حافِظْ على هذه الشروط بالمداومة عليها لتَبْقى المودّة على حال واحدة وليس هذا الشرط خاصّا بالمودّة بل هو مُطّرد في كل مايَخُصّكَ أعني أن مَركوبَكَ وملبوسَكَ ومنزلكَ متى لم تُراعها مراعاةً متصـلةً فَسَدَت وانتقضت فاذا كانت صورة حائطكَ وسُطوحكَ كذلكَ ومتى غَفَلْتَ أو توانيتَ لم تأمن تَقَوُّضَه وتَهَدُّمَه فكيف ترى أن

تَحْفو مَن تَرْجوه لكل خَير وتَنْتَظر مشاركتـه فى السَّرَّاء والضَّرَّاء ومع ذلك فانّ ضرر تلك تختص بك بمنفعـة واحدة وأما صَـديقُك فَوُجوه الضرر التى تدخُل عليك بجَفائه وانتقاض مَوَدَّته كثيرةٌ عظيمة ذلك أنه يَنْقَلب عَدُوّا وتَتَحَوّل منافعُه مَضارّ فلا تأمن غوائلَه وعداوتَه مع عَدَمك الرغائبَ والمنافع به وينقطع رجاؤُك فيما لاتجد له خَلَفًا ولا تستفيد عنه عِوَضا ولا يَسُدّ مَسَدّه شئ واذا راعيتَ شروطَه وحافظتَ عليها بالمداومة أمِنْتَ جميعَ ذلك ثم احْذَر المراءَ معه خاصَّة وان كان واجبا أن تَحْذَره مع كل أحد فانّ مُماراة الصَـديق تَقْتَلع المودة من أصلها لأنها سببُ الاختلاف والاختلافُ سببُ التباين الذى هَرَبْنا منـه الى ضدّه وقَبَّحْنا أثَرَه واخترنا عليه الأُلْفة التى طلبناها وأثنينا عليها وقلنا انّ الله عز وجل دَعا اليها بالشَّريعة القَويمة وانى لأعرف مَن يُؤْثر المراء ويزعم أنه يَقْدَح خاطرَه ويَشْحَذ ذهنه ويُثير شُكوكه فهو يَتَعَمَّد فى المحافل التى تَجْمَع رؤساء أهل النظر ومُتعاطى العُلوم مُماراة صَديقه ويَخْرُج فى كلامه معـه الى ألفاظ الجُهّال من العامّة وسُقّاطهم ليَزيد فى خَجَل صديقه وليُظْهِر تَبَلُّجَه وليس يفعل ذلك عند خَلْوَته به ومُذاكَرَته له وانما يفعله حين يَظُنّ به أنه أدَقّ نظرا أو أحضر حُجّة وأغْزَر علما وأحَدّ قريحة فما كنتُ أشْبِّهه الا بأهل البَغْى وجبابرة أصحاب الاموال والمُشَبَّهين بهم من أهـل البِدَع

فان هؤلاء يستحقر بعضُهم بعضا ولا يزال يُصَغِّر بصاحبه ويَزْدرى على مُرُوءته ويَتَطَلَّبُ عُيوبَه ويَتَتَبَّع عَثَراته ويُبالغ كلٌّ واحدٍ فيما يقدر عليه من اساءة صاحبه حتى يؤدّى بهم الحال الى العَداوة التامة التى يكون معها السعايَة وازالة النعَم وتُجاوز ذلك الى سَفْك الدَّم وأنواع الشُرور فكيف يثبُتُ مع المراء محبةٌ ويُرجَى به أُلْفة ثم احْذَر فى صَديقك ان كنتَ متحققا بعلْمٍ أو مُتَحَلِّيا بأدب أن تَبْخَل عليه بذلك الفنّ أو يرى فيك أنك تُحِبّ الاستبدادَ دونَه والاستئْثار عليه فانّ أهل العلم لا يَرَى بعضُهم فى بعض مايراه أهلُ الدُّنيا بينَهم ذلك أنّ مَتاع الدنيا قليل فاذ تَزَاحَم عليه قومٌ ثَلَم بعضُهم حالَ بعض ونَقص حَظّ كل واحد من حظ الآخَر وأما العلم فانه بالضدّ وليس أحد يَنْقُص منه مايأخُذه غيرُه بل يَزْكُو على النفقة ويَرْبُو مع الصَداقة ويَزيد على الانفاق وكثرة الخَرْج فاذا بَخِل صاحب علْمٍ بعلْمه فانما ذلك لاحوالٍ فيه كُلُّها قبيحة وهى أنه إمّا أن يكونَ قليلَ البضاعة منه فهو يَخاف أن يَفْنَى ماعنده أو يَرِد عليه مالا يعرفه فيزول تَشَرّفه عند الجُهّال واما أن يكون مكتسبا به فهو يَخْشَى أن يَضيق مكسبُه به وينْقُص حَظّه منه واما أن يكون حَسود والحسود بعيدٌ من كل فَضيلة لايَوَدُّ أحدٌ وانى لاعرف مَن لايَرْضَى بأن يَبْخَل بعلم نفسه حتى يَبْخَل بعلم غيره ويُكْثر عَتْبَه وسَخَطه على مَن

لايُفيد غيرَه من التلاميذ المستحقين لفائدة العلم وكثيرا مايَتوصل البعضُ الى أخذ الكُتُب من أصحابها ثم مَنْعهم منها وهـذا خُلُق لاتَبْقى معه مَوَدّة بل يَجْلُبُ الى صاحبه عَداوات لايَحْسَبُها ويَقْطَع أطْماعَ اصدقائه من صَـداقته ثم احْذَرْ أن تَنْبَسط بأصحابك ومَن يَخْلُوبك من أتباعك وتَحْمل أحدا منهـم على ذكْر شئ فى نفسـه ولا تُرَخّص فى عَيْب شئ يَتّصل به فَضْـلا عن عَيْبه ولا يَطْمَعَنّ أحدٌ فى ذلك من أُولى أنْسـابك والمُتّصلين بك لا جِدًّا ولا هَزْلا وكيف تَحْتَمل ذلك فيه وأنتَ عَيْنُه وقلبُه وخليفتُـه على الناس كلهم بل أنتَ هو فانه ان بَلَغَه شئ مما حَذّرْتُك منه لم يَشُكّ أنّ ذلك كان عن رأيك وهَواك فَيَنْقَلب عَدُوًا ويَنْفر عنك نُفور الضّدّ فان عرفتَ منـه أنتَ عَيْبًا فوافقْه عليه مُوافقةً لطيفة ليس فيها غَلْطة فانّ الطّبيب الرفيق ربما بَلغ بالدواء اللطيف ما يَبْلُغـه غيرُه بالشّقّ والقطع والكَيّ بل ربما تَوَصّل بالغذاء الى الشفاء واكتَفى به عن المعالجة بالدواء ولستُ أُحبّ أن تُغْضى عما تَعْرفه فى صَديقك وأن تترك موافقتَه عليه بهذا الضَّرْب من الموافقة فانّ ذلك خيانة منك ومُسـامَحَة فيما يعود ضَرَرُه عليـه ثم احْذَر النَميمة وسَماعَها وذلك أنّ الاشرار يَدْخُلون بين الاخيـار فى صورة النُصَحاء فَيوهمونَهُـم النصيحة ويَنْقُلون اليهم فى عُرْض الاحاديث اللذيذة أخبـار أصدقائهم مُحَرّفةً مُمَوّهة حتى

اذا تجاسروا عليهم بالحديث المُختَلَق يُصَرِّحون لهم بما يُفْسد مودّاتهم ويُشَوّه وجوهَ أصدقائهم الى أن يُبْغض بعضُهم بعضا وللقُدَماء فى هذا المعنى كُتُبٌ مؤلَّفة يُحَذِّرون فيها من النميمة ويُشَبِّهون صورةَ النَّمام بمَن يَحُكُّ باظافيره أصولَ البُنْيان القوية حتى يُؤَثِّر فيها ثم لا يزال يَزيد ويُمْعِن حتى يُدْخل فيها المِعْوَل فيَقْلَعَه من أصله ويَضْربون له الامثال الكثيرة المُشَبَّهَة بحديث الثَّوْر مع الأَسَد فى كتاب كَليلةَ ودِمْنَة ونحن نكتفى بهذا القَدْر من الايماء لئلا نَخْرُج عمّا بَنَيْنا عليه مَذْهَبَنا من الايجاز فى الشرح ولستُ أترك مع الايجاز والاختصار تعظيمَ هذا الباب وتكريره عليك لتعلم أنّ القُدَماء انما ألَّفُوا فيه الكتب وضربوا له الامثال وأكثروا فيه من الوَصايا لِمَا وراءَه من النَّفْع العظيم عند السامعين من الاخيار ولما خافوه من الضَّرر الكثير على مَن يَسْتَهين به من الأَغْمار وليُعْلَم المَثَل المضروب فى السِّباع القوية اذا دخل عليها الثَّعْلَب الرَّوَّاغ على ضَعْفه أهْلَكَها ودَمَّرَها وفى المُلوك الحُصَفاء يَدْخُل بينهم أهل النميمة فى صورة الناصحين حتى يُفْسدوا نيّتَهم على وُزَرائهم المُبالغين فى نصيحتهم المجتهدين فى تثبيت مُلْكهم الى أن يَغْضَبوا عليهم ويَصرفوا بها عُيونَهم عنهم ويَصيروا من مَحَبّتهم وايثارهم على آبائهم وأولادهم الى أن لا يَمْلَؤُا عُيونَهم منهم والى أن يَبْطِشوا بهم قَتْلا وتَعْذيبا وهم غيرُ

مُذْنبين ولامُحْتَرمين ولا مُستحقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار مابلغوه من هؤلاء فبالأَحْرَى أن يَبْلُغوه منا اذا لم يجدوه فى أَصْدقائنا الذين اخترناهم على الأيام وادّخَرْناهم للشدائد وأحْلَلْناهم مَحَلّ أرواحنا وزدْناهم تَفَضّلا واكراما ويَتَبَيّن لك من جميع ماقدّمناه أنّ الصداقة وأصناف المَحَبّات التى تتمّ بها سعادة الانسان من حيث هو مَدَنىٌّ بالطبع انما اختلفتْ ودخل فيها ضُروب الفَساد وزال عنها معنى التَّأَخّى وعرض لها الانتشار حتى احتَجْنا الى حفْظها والتَعَب الكثير بنظامها من أجْل النَقائص الكثيرة التى فينا وحاجَتنا الى اتمامها مع الحوادث التى تَعْرض لنا من الكَوْن والفساد فانّ الفضائل الخُلُقيّة انما وُضعَت لاجل المُعاملات والمُعاشَرات التى لايَتم الوُجود الانسانى الا بها ذلك أنّ العَدْل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليَزولَ به معنَى الجَوْر الذى هو رَذيلة عند المُتعاملين وانما وُضعَت العفّة فَضيلة لاجل اللذات الرديئة التى تَجْنى الخيانات الفظيعة على النفْس والبَدَن وكذلك الشجاعةُ وُضعت فضيلةً من أجل الامور الهائلة التى يجب أن يُقْدم الانسانُ عليها فى بعض الاوقات ولايَهْرُب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التى وَصَفناها وحَضَضْنا على اقتنائها وأيضا فانّ جميع هذه الفضائل تحتاج الى أسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وُجوهها

ليمكنه أن يفعل بها فعلَ الاحْرار والعادل يحتاج الى مثل ذلك ليُجازى مَن عاشَره بجميل ويُكافئ مَن عامَله باحسان وجميعُها لاتقوم الا بالابدان والأنْفُس وما هو خارجٌ عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات كثيرةً احْتيج الى الموادّ الخارجة عنّا أكثر فهذه حالةُ السعادات الانسانية التى لاتتم لنا الا بالافعال البَدَنية والاحوال المدنية وبالاعْوان الصالحين والأصدقاء المخلصين وهى كما تراها كثيرة والتَعَب بها عظيم ومَن قَصّر فيها قَصَّرتْ به السعادة الخاصّة به ولذلك صار الكسَل وحَبّبة الراحَة من أعظم الرذائل لأنهما يَحُولان بين المَرْء وبين جميع الخيرات والفضائل ويَسْلُخان الانسانَ من الانسانية ولذلك ذَمّنا بعضَ المُتَوَحّشين بالزُهْد اذا تَفَرّدوا عن الناس وسَكَنوا الجبالَ والمَفازات واختاروا التَوَحّش الذى هو ضدّ المدنيـة لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التى عددناها كلها وكيف يعِفّ ويَعْدل ويَسْخو ويَشْجُع مَن فارق الناسَ وتَفَرّد عنهم وعَدم الفضائلَ الخُلُقيّة وهل هو الا بمنزلة الجَماد والمَيّت وأما مَحبّة الحكمة والانْصراف الى التَصَوُّر العقلى واستعمال الآراء الالهية فانها خاصة بالجُزْء الالهى من الناس وليس يَعْرض لها شئ من الآفات التى تَعْرض للمَحبّات الأُخَر الخلقية وضُروب الفساد ولذلك قُلْنا انها لاتَقْبل التَتمة ولا نَوْعًا من أنواع السُرور لأنها الخيرُ المَحْض وسَبَبُها

الخير الأوّل الذى لاتَشُوبه مادة ولا تَلْحَقه الشُّرور التى فى المادة وما دام الانسان يستعمل الأخلاق والفضائل الانسانية فانها تَعُوقه عن هذا الخير الاوّل وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يَتم له الا بتلك ومن أفضل تلك الفضائل بنفسه ثم اشتغلَ عنها بالفضيلة الالهية فقد اشتغل بذاته حقّا ونَجا من مُجاهَدات الطبيعة وآلامها ومن مجاهدات النفس وقُواها وصار مع الارواح الطيّبة واختَلَط بالملائكة المقرّبين فاذا انتقل من وجوده الاول الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الأبَدى والسرور السرمدى

وقال ابن حَمْديس الأَنْدَلُسى فى وصف بركة

عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتها أسود قاذفة بالمياه

وضَراغم سكَنَتْ عَرِينَ رَاسَةٍ * تَرَكَتْ نَحرير الماء فيه زَئيرا
فكأنما غَشَّى النُّضارُ جُسومَها * وأذابَ فى أفْواهها البَلُّورا
أُسْدٌ كأنّ سُكونَها مُتَحَرِّكٌ * فى النفس لو وَجَدَتْ هناك مُثيرا
وتَذَكَّرَتْ فتكاتها فكأنما * أقْعَتْ على أدبارها لتثورا
وتَخالُها والشمس تَجْلُو لونَها * نارًا وألْسُنَها اللواحسَ نورا
فكأنما سَلَّتْ سُيوفَ جداولٍ * ذابَتْ بلا نارٍ فَعُدْنَ غديرا
وكأنما نَسَجَ النسيمُ لمائه * دِرْعًا فَقَدَّر سَرْدَها تقديرا
وبَديعة الثمرات تَعْبُرُ نحوها * عيناىَ بحرَ عجائبٍ مَسجورا

شَجَريّة ذَهَبيّـة نَزَعَتْ الى * سِحْـرٍ يُؤَثِّر فى النُّهَى تأثيرا
قد سُرِّجَتْ أغصانُها فكأنما * قبضت بهنّ من الفضاء طُيورا
وكأنما تَأبَى لِوَقْـع طَيْرِها * أن تَسْتَقِلّ بنَهْضِها وتَطيرا
من كل واقعة تَرى منقارَها * ماءً كسَلْسال اللُّجَين نميرا
خُرْسٌ تُعَدُّ من الفصاح فان شَدَتْ * جَعَلَتْ تُغَرِّد بالمياه صَفيرا
وكأنما فى كل غصن فضّـة * لانَتْ فأرسلَ خَيْطُها مجرورا
وتُريكَ فى الصهريج مَوْقِعَ قَطْرِها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنُه اليكَ كأنما * جُعِلَتْ لها زُهْرُ النجوم ثُغورا
ومُصَفِّح الأبواب تبرًا نَظّروا * بالنقش فوق شُكوله تنظيرا
واذا نظرتَ الى غرائب سَقْفِه * أبصرتَ روضًا فى السماء نَضيرا
وضَعَتْ به صُنّاعُها أقلامَها * فأرَتْكَ كلَّ طَريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيـــه لِبَقَّةٌ * مَشَقُوا بها التزويقَ والتشجيرا
وكأنما اللازَوَرْدُ فيـــه مُخَرَّمٌ * بالخطّ فى ورق السماء سطورا

مَرْثية أبى الحسن الأنبارى للوزير أبى طاهر

لما اسْتَعَر الحرب بين عزّ الدولة بن بُوَيْه وابن عمّه عَضُد الدولة ظفر عَضُد الدولة بوزير عزّ الدولة أبى طاهر محمد بن بَقيّة فسلّمه وشَهَّره وعلى رأسه بُرنُس ثم طَرَحه للفيلة فقتلته ثم صَلَبه عند داره بباب الطاق

وعُمره نَيف وخمسون سنة ولما صُلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانبارى أحد العُدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء فلما وقف عليها عَضُد الدولة قال وددْتُ لو أنى المصلوب وتكون هذه القصيدة فىّ

عُـلُوٌّ فى الحياة وفى الممات * لَحَقٌّ تلكَ احدى المعجـزات
كأنّ الناس حولكَ حين قاموا * وفودُ نَدالكَ أيامَ الصـلات
كأنكَ قائمٌ فيهم خطيبا * وكلُّهُـمُ قيـامٌ للصَّـلاة
مَدَدْتَ يديكَ نحوَهُم احتفاءً * كَمَدّهما اليهـم بالهبـات
ولما ضاق بطنُ الارض عن أن * يضُم عُلاكَ من بعـد الوَفاة
أصاروا الجوّ قبرَكَ واستعاضوا * عن الأكفان ثوبَ السافيات
لعُظْمكَ فى النفوس بقيتَ تُرْمَى * بحُـرّاس وحُفّاظ ثقـات
وتُوقَد حولَكَ النيرانُ ليـلا * كذلكَ كنتَ أيامَ الحيـاة
ركبتَ مَطيةً من قبـلُ زَيْدٌ * عَلاها فى السنين الماضيات
وتلكَ قضيـةٌ فيهـا تأسّ * تُباعد عنكَ تعيير العُـداة
ولم أرَ قبلَ جِذْعكَ قطُّ جِذْعا * تمكَّنَ من عناق المَكْرُمات
أسأتَ الى النوائب فاستثارت * فأنتَ قتيـلُ ثار النائبات
وكنتَ تُجير من صَرْف الليالى * فصار مُطالبا لكَ بالتِّرات
وصَيَّر دهرُكَ الاحسانَ فيـه * الينا من عظـيم السيئات

وكنتَ لمَعْشر سعدًا فلما ✻ مضيتَ تفرَّقوا بالمُحسات
غليلٌ باطنٌ لكَ فى فؤادى ✻ يخفَّفُ بالدُّموع الجاريات
ولو أنى قدَرْتُ على قيامٍ ✻ بفرضكَ والحُقوق الواجبات
ملأتُ الأرضَ من نظم القوافى ✻ ونُحْتُ بها خلافَ النائحات
ولكنّى أُصَبِّر عنكَ نفسى ✻ مَخافة أن أُعَدّ من الجُناة
وما لكَ تُربةٌ فأقول تُسْقَى ✻ لانكَ نُصْبُ هَطْل الهاطلات
عليكَ تحيةُ الرحمن تَتْرَى ✻ برَحْمات غَوادٍ رائحات

وقال محمد بن زُرَيق البغدادى وكان قَصَدَ الأندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لاتَعْذُليه فانّ العَذْلَ يُولعه ✻ قد قُلْتِ حقًّا ولكن ليس يَسْمَعه
جاوَزْتِ فى لَوْمه حدًّا أضَرَّ به ✻ من حيثُ قدّرْتِ أنّ اللَّوْمَ يَنْفَعُه
فاستعملى الرِّفْقَ فى تأنيبه بدلًا ✻ من عُنْفه فهو مُضْنَى القلب مُوجَعُه
قد كان مُضطلعا بالخَطْب يَحْمله ✻ فَضِيقَتْ بخُطوب البَين أضْلُعُه
يكفيه من لَوْعة التَّفْنيد أنّ له ✻ من النَّوى كلَّ يوم ما يُرَوِّعه
ما آبَ من سَفَرٍ الا وأزعَجَه ✻ رأىُ الى سَفَرٍ بالعزم يَجْمَعُه
كأنّما هو من حِلّ ومُرْتَحَل ✻ مُوَكَّلٌ بفضاء الارض يَذْرَعه
اذا الرِّماعُ أراه فى الرحيل غِنًى ✻ ولو الى السِّنْد أضحى وهو يُزْمِعُه

تأبَى المَطامع الا أن تُحَشِّـــمَه * للـــرِّزْق كَدًّا وكم ممن يودّعه
وما مُجاهَـدة الانسان توصـلُه * رزقًا ولا دَعَة الانسان تَقْطَعُـه
واللهُ قَسَّم بينَ الخلق رزقَهُـــمُ * لم يَخلق اللهُ مخلوقا يُضَـــيّعه
لكنهم مُلئُوا حِرْصًا فلستَ ترى * مُسْتَرْزقا وسوى الغايات يقْنَعُـه
والسَّعْيُ فى الرزق والارزاقُ قد قُسمت * بَغْيٌ ألا إنّ بَغْيَ المـرء يَصْرَعه
والدهر يُعطِي الفتَى ماليس يطلُبُه * يوما ويمنعُه من حيث يُطمعُـه
أستودِع الله فى بَغْداد لى قمرا * بالكَرْخ من فَلَكُ الأزْرار مَطْلَعُه
ودَّعْتُـــه وبودّى لو يُودّعُـــنى * صَـــفْوَ الحيـاة وأنى لا أودّعه
وكم تَشَـــفَّع أنى لا أفارقـــه * والضرورات حالٌ لا تُشَـــفّعه
وكم تَشَبَّثَ بى يومَ الرحيل ضُحًى * وأدمُعى مُسْتَهِلّات وأدمُعـــه
لا أُكْذِبُ اللهَ ثَوْبُ العُذْر مُخْرَق * عنى بفُرقتـــه لكن أُرَقِّعُـــه
أنى أُوَسِّع عُذرى فى جنايَتِـــه * بالبَـــيْن عنـــه وقلبى لا يُوَسِّعُه
أُعطيتُ مُلكا فلم أُحْسِنْ سياستَه * كذالكَ مَن لا يَسُوس المُلْكَ يُخْلَعُه
ومَن غدا لابسًا ثوبَ النعيم بلا * شُـــكْر الاله فعنْـــه اللهُ يَنْزِعُه
اعْتَضْتُ عن وجهِ خِلّى بعد فرقته * كأسا أُجَـــرِّعُ منها ما أُجَرَّعُه
كم قائل لى ذنبُ البَين قلت له * الذنب والله ذنبى لستُ أدفعه
هلّا أقتُ فكان الرُّشْد أجمعـــه * لو أننى يومَ بانَ الرشدُ أتبعُـــه

انى لأقطع أيامى وأُنفِـدُهـا * بحسرةٍ منـــه فى قلبى تُقَطّعه
بِمَن اذا هجع النُّـــوّام بتُّ له * بلَوعةٍ منـه ليلى لستُ أهجَعُه
لايَطـمئن لجَنْبى مَضْجَعٌ وكذا * لايطمئن له مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُـه
ما كنت أحسب أنّ الدهر يفجَعُنى * به ولا أنّ بى الايامُ تفجعـه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيَدٍ * عَسْرَاءَ تمنعُنى حظّى وتمنعُـه
بالله يامنزل القَصْف الذى درَست * آثارُه وعفَتْ مذ غبتُ أربُعُـه
هـل الزمانُ مُعيـدٌ فيكَ لذّتَنا * أم الليالى التى أمْضَتْه تُرْجعُه
فى ذمّة الله مَن أصبحتَ منزلَه * وجادَ غيثٌ على مَغْـدالكَ يمرعُه
مَن عنده لى عهدٌ لايضـيّعُه * كما له عهـدُ صدقٍ لاأضـيعه
ومَن يُصَـدّع قلبى ذكرُه واذا * جرى على قلبه ذكرى يصدّعه
لأَصْـبرَنّ لدهـر لايمتّعُنى * به ولا بىَ فى حالٍ يمتعـــه
علما بأنّ اصطبارى مُعْقِب فَرَجا * وأضيقُ الامر ان فكّرتَ أوسَعه
علّ الليالى التى أضْنت بفُـرقتنا * جسمى ستَجمعنى يوما وتجمعـه
وان تَنَـل أحدا منـا مَنيّتُـــه * فما الذى بقضاء الله يصـنعه

قال أبو العلاء المعرى يفتخر

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل * عَفاف واقـدام وحَزْم ونائل
أعندى وقد مارستُ كل خفيّة * يُصدَّق واشٍ أو يُخَيَّب سائل

تُعَـدّ ذُنوبى عنـد قومٍ كثيرةً * ولا ذنبَ لى الا العُلَى والفضائل
كأنى اذا طُلْتُ الزمانَ وأهـلَه * رجعتُ وعندى للانام طَوائل
وقد سار ذكرى فى البلاد فَمَن لهم * باخفاء شمسٍ ضوؤُها متكامل
يُهِمُّ الليالى بعضُ ما أنا مُضْمِر * ويَثْقُل رَضْوَى دونَ ما أنا حامل
وانى وان كنتُ الاخيرَ زمانُه * لآتٍ بما لم تَستطعه الاوائل
وأَغْمِدُ ولو أنّ الصباحَ صَوارمٌ * وأَسْرِى ولو أنّ الظلام جَحافل
وانى جواد لم يُحَـلّ لجامُه * ونَصْلُ يَمانٍ أغْفَلَتْه الصياقل
فان كان فى لُبْسِ الفتى شرفٌ له * فما السيفُ الا غِمْدُه والحَمائل
ولى مَنطِقٌ لم يَرْضَ لى كُنْهَ منزلى * على أننى بَيْنَ السماكَين نازل
لَدَى موطنٍ يشتاقه كل سـيّد * ويَقْصُر عن ادراكه المُتَناوِل
ولَمّا رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشيا * تجاهلتُ حتى ظُنّ أنى جاهل
فوا عَجَبا كم يدّعى الفضلَ ناقص * ووا أسَفا كم يُظهر النقصَ فاضل
وكيف تَنام الطيرُ فى وَكَناتها * وقد نُصبت للقَرْقَدين الحبائل
يُنافِس يومى فىَّ أمسى تَشَرُّفا * ويَحْسُد أسحارى على الاصائل
وطال اعترافى بالزمان وصَرْفه * فلستُ أُبالى مَن تَغُول الغوائل
فلو بانَ عَضْدى ما تأسَّفَ مَنْكِبى * ولو مات زَنْدى ما بَكَتْه الانامل
اذا وَصَفَ الطائىَّ بالبُخْل مادِرٌ * وعَيَّرَ قُسًّا بالفَهاهة باقل

وقال السُّهى للشمس أنت ضئيلة * وقال الدُجى للصُبح لونُكِ حائل
وطاولَت الأرضُ السماءَ سَفاهة * وفاخَرَت الشُهْبَ الحَصى والجنادل
فيا موتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمةٌ * ويا نفسُ جِدّي إنّ دهرَكِ هازل

ومن شعر أبي الحسن التِّهامي

قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواها التي يرثي في أولها صغيرا له أجاب داعي ربه ويفتخر في آخرها بفضله ويشكو زمانه وحاسديه وهي هذه

حُكمُ المنيّـــة في البرية جار * ما هـــذه الدنيا بدار قَـرار
بَيْنا يُرَى الانسانُ فيها مُخْبرا * حتى يُرَى خبَرًا من الاخبار
طُبعَتْ على كَدَر وأنتَ تُريدُها * صَفْوًا من الأقذار والاكدار
ومُكَلّف الأيام ضِـدَّ طباعها * مُتَطَلّب في الماء جَـذْوةَ نار
واذا رَجَوْتَ المستحيلَ فإنما * تَبْني الرجاءَ على شَـفيرٍ هـار
فالعيشُ نومٌ والمنيّـة يقظـةٌ * والمـرءُ بينهما خيالُ سـار
فاقضـوا مآربكم عجالا انما * أعمارُكم سـفرٌ من الاسفار
وتراكضوا خيلَ الشباب وبادروا * أن تُسْـتَرَدَّ فانهنّ عَـوار
والدهر يَخْدَع بالمُنَى ويُغَصّ ان * هَنّا ويَهْـدِم ما بَنَى ببَـوار
ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسالِمًا * خُلُقُ الزمان عـداوةُ الاحرار

انى وُتِرْتُ بصارمٍ ذى رَوْنَق * أعْـــدَدْتُه لطـــلابَة الاوتار
والنفسُ إن رَضيت بذلكَ أو أبَتْ * مُنْقـادة بأزمّـــة المقـــدار
أثْـــنى عليـــه بأثَره ولَوَ انّه * لم يُعْتَبَـــــطْ أثنيتُ بالآثار
يا كوكبًا ما كان أقْصَرَ عُمْـــرَه * وكذاكَ عُمْرُ كواكب الاسحار
وهلالَ أيامٍ مضى لم يَسْـتَدِرْ * بدرًا ولم يُمْهَـــل لوقت سرار
عَجِل الخُسوفُ عليه قبلَ أوانه * فمحاه قَبْـــلَ مَظنّـة الابدار
واســـتُلّ من أتْرابه وَلداته * كالقُلّة اسْتُلّتْ من الاشفار
فكأنّ قلبى قَـــبْرُه وكأنه * فى طَيّـــه سِرٌّ من الاسرار
ان يُعْتَبَطْ صـغرًا فَرُبَّ مُقَدَّمٍ * يَبْدو ضَئيلَ الشخص للنُظّار
انّ الكواكبَ فى عُلُوّ محلّها * لَتُرَى صغارًا وهى غير صـغار
وَلَدُ المُعَزّى بعضُـه فاذا مضى * بعضُ الفتى فالكلُّ فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتـــذرا له * وُفّقْتَ حين تَرَكتَ أَلْأَمَ دار
جاوَرْتُ أعـــدائى وجاوَرَ ربَّه * شَـــتّانَ بين جواره وجوارى
أشكو بعادَكَ لى وأنتَ بموضعٍ * لولا الردَى لَسَمِعْتَ فيه مَزارى
والشرقُ نحوَ الغرب أقربُ شُقّةً * من بُعد تلكَ الخمسة الاشبار
هيهاتَ قد عَلِقَتْ أسبابُ الردَى * واغتالَ عمرَكَ قاطعُ الاعمـــار
ولقد جَرَيْتَ كما جريتُ لغايةٍ * فبلغـــتَها وأبولكَ فى المضمار

ذا نطقتُ فأنت أولُ منطق * واذا سكتُّ فأنت فى اضمارى
أُخفى من البُرحاء نارًا مثـلَ ما * يُخفى من النـار الزنادُ الوارى
وأُخَفِّض الزفرات وهى صواعد * وأُكفكفُ العبرات وهى جوار
وشهابُ نار الحُزْن ان طاوعْتُه * أوْرَى وان عاصَيْتُه متوارى
وأكُفُّ نيرانَ الأسى ولربما * غُلب التصبُّرُ فارتمَتْ بشرار
ثوبُ الرياء يَشِفّ عما تحتَـه * واذا التحفْتَ به فانك عار
قَصُرت جُفونى أم تباعَدَ بَيْنُها * أم صُوِّرتْ عينى بلا أشفـار
جَفَتِ الكرَى حتى كأنّ غرارَه * عند اغتماض العين وَخْزُ غرار
ولو استَزَارَتْ رقدةً لَطَحَا بها * ما بين أجفانى من التيّـار
أحيِى الليالى التّم وهى تُمِيتُنى * ويُمِيتُهُنّ تبلُّجُ الاسحـــار
حتى رأيت الصُّبح تهتك كفُّه * بالضوء رفرفَ خيمـة كالقار
والصبحُ قد غمَرَ النجومَ كأنه * سَيْلٌ طَغَى فطَفَا على النُّوّار
لو كنتَ تُمْنَعُ خاضَ دونَك فتْيةٌ * منّا بحارَ عوامـل وشفـار
ودَحَوْا فُوَيْقَ الأرض أرضا من دَمٍ * ثم انثَنَوْا فبَنَوْا سماءَ غُبار
قومٌ اذا لبسوا الدروعَ حسبتَهَا * خُلُقًا تَمُدّ بها أكُفُّ بحار
لو شرَّعوا أيمانَهم فى طولها * طعَنوا بها عوَضَ القَنا الخطّار
جَنَبوا الجيادَ الى المَطِىّ وراوَحوا * بين السُّروج هُنالكَ والأكوار

وكأنما مَلَؤا عيابَ دُروعهم * وعُمود أنْصُلهم سَرابَ قفار
وكأنما صَنْعُ السَوابغ عَزَّهُ * ماءُ الحديد فصاغ ماءَ قَرار
زَرَدًا فأحكم كُلَّ مَوْصل حَلْقة * بجَبابه فى موضع المسمار
فتَسَربَلُوا بمُتون ماء جامد * وتقنّعوا بجَباب ماء جار
أُسْدٌ ولكن يُؤثرون بزادهم * والأسْدُ ليس تَدين بالايثار
يتزيّن النادى بحُسْن وُجوههم * كتزيُّن الهالات بالأقمار
يتعطّفون على المُجاور فيهمُ * بالمُنْفسات تعطُّف الأطْآر
من كل مَن جعل الظُبَى أنصارَه * وتَرَكْنَ واستغنَى عن الانصار
واذا هو اعتقلَ القناةَ حَسِبْتَها * صلًّا تأبَّطه هِزَبْرٌ ضار
والليثُ ان ثاوَرْتَه لم يَعْتَمد * الّا على الأنياب والاظفار
زَرَدُ الدلاص من الطعان يُريحُهُ * فى الجفَل المُتضايق الجرّار
ما بين ثوب بالدماء مُضَمَّخ * زَلِق وثَقْع بالطِراد مُثار
والهُونُ فى ظلّ الهُوَيْنا كامنٌ * وجَلالة الأخْطار فى الاخطار
تَنْدَى أسرَّةُ وجهه ويمينُه * فى حالة الاعسار والايسار
ويَمُدُّ نحوَ المَكْرُمات أنامِلا * للرزق فى اثنائهنّ مَجَار
يَحْوى المَعالى كاسبا أو غالبا * أبدًا يُدارَى دونَها ويُدارى
قد لاح فى ليل الشباب كواكبٌ * ان أُمْهلَتْ آلت الى الاسفار

وتلهّب الاحشاء شيب مفرق * هذا الضياء شواظ تلك النار
شاب القذال وكل غصن ضائر * فمنانه الاحوى الى الازهار
والشيب منجذب فلم يبض الدمى * عن بيض مفرقه ذوات نفار
وتود لو جعلت سواد قلوبها * وسواد أعينها خضاب عذار
لا تنفر الظبيات عنه فقد رأت * كيف اختلاف النبت فى الأطوار
شيآن ينقشعان أول وهلة * ظل الشباب وخلة الأشرار
لاحبذا الشيب الوفى وحبذا * ظل الشباب الخائن الغدار
وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قصرت مسافته وما حسناته * عندى ولا آلاؤه بقصار
تزداد هما كلما ازددنا غنى * والفقر كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوق الزاد خلف ضائعا * فى حادث أو وارث أو عار
إنى لأرحم حاسدى لحرّما * ضمنت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتم فضائلى * فكأنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت * أعناقها تعلو على الاستار
ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودرارى
والناس مشتبهون فى إيرادهم * وتفاضل الأقوام فى الاصدار

عَمْرى لقد أوطأتهم طُرُقَ العُلا * فَعُموا فلم يَقفوا على آثارى
لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا * وعَمى البصائر من عَمى الأبصار
هَلَّا سَعَوْا سَعْىَ الكرام فأدركوا * أو سَلَّمـوا لمواقع الأقـدار
وفَشَتْ خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأبصـار
ولَرُبما اعْتَضَد الحليم بجاهلٍ * لاخيرَ فى يُمْنَى بغـير يَسار

الأرجوزة التى استخلصها تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى من كتاب الصادح والباغم

العَيْشُ بالرزق وبالتقـدير * وليس بالرأى ولا التـدبير
فى الناس مَن تُسْعِدُه الأقدار * وفعـلُ جميعُـه إدبار
مَن عَرف الله أزالَ التُّهَمْ * وقال كلُّ فعـله للحكمـهْ
مَن أنكرَ القضاءَ فهو مُشْرِكٌ * إنّ القضاء بالعباد أملَكُ
ونحـن لانُشْرِكُ بالله ولا * نَقْنَطُ من رحمته إذ نُبْتَلَى
عارٌ علينا وقبيحٌ ذِكْـرِ * أن نجعل الكُفْرَ مكان الشكرِ
وليس فى العالَم ظلمٌ جارى * اذ كان ما يجرى بأمر البارى
وأسـعدُ العالَم عنـد الله * مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه
ومَن أغاثَ البائسَ الملهوفا * أغاثه اللهُ اذا أُخيفـا
إنّ العظيمَ يدفع العظيما * كما الجسيمُ يحمل الجسيما

ذاك من خلائق الكرام * رحمةً ذى البلاء والأسقام
وانّ من شرائط العُلُوّ * العطفَ فى البؤس على العدو
قد قضت العقول أنّ الشفقه * على الصديق والعدوّ صدقه
وقد علمتَ واللبيبُ يعلم * بالطبع لا يُرحَم مَن لا يَرحَم
فالمرءُ لا يدرى متى يُمتَحن * فانه فى دهره مُرتَهَن
وان نجا اليومَ فما يَنجو غدا * لا يأمَن الآفات الا ذو الرَدَى
لا تَغْتَرِرْ بالخَفْض والسلامه * فانما الحياة كالمُدامه
والعمرُ مثلُ الكأس والدهرُ القَدَرْ * والصَفْوُ لابُدَّ له من الكَدَر
وكُلُّ انسان فلا بُدَّ لَهُ * من صاحب يَحْمل ما أثقلَه
جَهْدُ البلاء صحبة الاضداد * فانها كَيٌّ على الفؤاد
أعظمُ ما يلقى الفتى من جَهْد * أن يُبتَلى فى جِنْسه بالضِّدّ
فانما الرجالُ بالاخوان * واليدُ بالساعد والبَنان
لا يَحْقر الصُحْبَةَ الا جاهلُ * أو مارقٌ عن الرشاد غافلُ
صُحْبَةُ يوم نَسَبٌ قريبُ * وذِمَّةٌ يحفظُها اللبيب
ومُوجَبُ الصداقة المُساعده * ومقتضى المَوَدّة المُعاضده
لاسيما فى النُوَب الشدائد * والمحن العظيمة الأوابد
فالمرءُ يُحيى أبدا أخاه * وهو اذا ماعدّ من أعداه

وانّ مَن عاشَرَ قومًا يوما * ينصُرُهـم ولا يَخاف لَوْما
وانّ مَن حارَبَ مَن لا يَقْوَى * لحَرْبه جَرّ اليه البَـلْوَى
فحارب الأكْفاء والاقرانا * فالمرءُ لا يُحارب السلطانا
واقْنَعْ اذا حارَبْتَ بالسلامه * واحذَرْ فعالًا توجبُ الندامه
فالتاجرُ الكَيّس فى التجاره * مَن خاف فى مَتْجَره الخساره
يَجْهَد فى تحصيل رأس ماله * ثم يَروم الرِبْحَ باحتياله
وان رأيتَ النصر قد لاحَ لكا * فلا تُقَصّرْ واحترز أن تَهلكا
واسْبِقْ الى الأجود سَبْق الناقد * فَسَبْقُكَ الخَصْمَ من المكايد
وانتهز الفُرصة انّ الفرصه * تَصير إن لم تنتهزْها غُصّه
كم بَطَـرَ الغالب يوما فترَكْ * عنه التوقّى واستهانَ فهلكْ
ومَن أضاعَ جُنْدَه فى السِلْم * لم يحفظوه فى لقاء الخَصْم
وانّ من لا يَحْفَظ القُـلوبا * يُخْذَلُ حين يَشْهَد الحُروبا
والجُنْدُ لا يَرْعَوْنَ مَن أضاعهم * كَلّا ولا يَحْمون مَن أجاعهم
وأضعفُ الملوكِ طُرًّا عَقْدًا * مَن غَرّه السِلْمُ فأقْصَى الجندا
والحزم والتدبيرُ رُوح العزم * لا خيرَ فى عزمٍ بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المُطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخُطوب تَظهر الجواهرُ * ما غَلَبَ الأيامَ الا الصابر

لاتيأسَنْ من فَرَجٍ ولطف * وقُوَّة تظهر بعدَ ضَعْف
فربما جاءكَ بعدَ اليأس * رَوْحٌ بلا كَدٍّ ولا التماس
في لمحة الطَرف بُكاءٌ وضَحِكْ * وناجِذٌ بادٍ ودمعٌ يَنْسَفِكْ
تَنَـــال بالرِّفْق وبالتـــأنى * مالم تَنَلْ بالحِرْص والتَعَنّى
ماأحسنَ الثباتَ والتَجَلُّدا * وأقبحَ الحَـــيْرة والتبلُّدا
ليس الفتَى الا الذى إن طَرَقَهْ * خَطْبٌ تَلَقاه بصَبْرٍ وثِقَه
اذا الرَزايا أقبلت ولم تَقِفْ * فَمُّ أحوالُ الرجال تختلف
وكم لقيتُ لَذَّةً فى زمـــنى * فأصْبِرُ الآنَ لهَـذى المحَنِ
فالمـوتُ لايكون الا مَرَّة * والموتُ أحْلَى من حياةٍ مُرَّة
انى من الموت على يَقِين * فاجْهَـد الآن لما يَفِينى
صَبْراً على أهوالها ولا ضَجَرْ * وربما فازَ الفتى اذا صَبَرْ
لايَجْزَع الحُرّ من المصائب * كلا ولا يَخْضَـع للنوائب
فالحرّ للعبْء الثقيل يَحْمِلُ * والصَبْرُ عند النائبات يَحْمِلُ
لكل شئ مـدةٌ وتنقضى * ماغَلَبَ الايامَ الا مَن رَضِى
قد صَدَقَ القائلُ فى الكلام * ليس النُهَى بعَظْم العظام
لاخَيْرَ فى جسامة الأجسام * بل هو فى العُقول والافهام
فالخَيْـــل للحرب وللجَمال * والابْل للحَـــمْل وللتَرْحال

لاتحتقرْ شيأ صغيرا يُحتقَرْ * فربما أسالتْ الدمَ الابَرْ
لاتُحرِجِ الخصمَ فى احراجه * جميعُ ماتكْرَه من لجاجه
لاتطلُبِ الفائتَ باللجاج * وكُنْ اذا كويْتَ ذا انضاج
فعاجزٌ مَن ترَكَ الموجودا * طَماعةً وطلبَ المفقودا
وفتّش الامورعن أسرارها * كم نُكْتَةٍ جاءتْ مَعْ اظهارها
لَزِمْتَ للجهل قبيحَ الظاهر * وما نظرْتَ حَسَنَ السرائر
ليس يَضُرّ البدرَ فى سناهُ * أنّ الضريرَ قطُّ لايراه
كم حكمة أضْحَت بها المحافل * نافقةً وأنتَ عنها غافل
ويَعْقِلون عن خَفِيّ الحكمه * ولو رأوها لأزالوا التهمه
كم حَسَنٍ ظاهرُه قبيح * وسَمجٍ عُنْوانُه مليح
والحقّ قد تَعلَمُه ثقيل * أبَوْهُ إلاّ نَفَرٌ قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال * لايَنْثَنى لزُخْرف المقال
انّ العَدُوّ قولُه مَرْدود * وقلّما يُصَدَّق الحسود
لاتُقْبَلُ الدعوَى بغير شاهد * لاسيما ان كان من مُعاند
أيؤخذ البَرِيءُ بالسقيم * والرَجُل المُحْسِن باللئيم
كذالكَ مَن يَسْتَنْصِح الأعادى * يُردونَه بالغش والفساد
ان أكَلَّ مَن ترى أذهانا * مَن حَسَبَ الاساءةَ الاحسانا

فادْفَعْ اساءةَ العدَى بالحُسْنَى * ولا تَخَلْ يُسْرالكَ مثْلَ اليُمْنَى
وللرجال فاعْلَمَنْ مَـكايدُ * وخِدَعٌ مُنكَرَةٌ شَـدائد
فالنَّـدْب لا يَخْضَعُ للشدائد * قَطّ ولا يَغْتاظ بالمـكايد
فَرَقِّع الخَرْق بلطف واجتهد * وامكُر اذا لم ينفع الصدقُ وكد
فهكذا الحازم اذ يكيـد * يَبْلـغ فى الأعداء ما يُريد
وهو بَرِىءٌ منهم فى الظاهر * وغـيرُه مُخْتَضب الاظـافر
والشَّهْم مَن يُصلح أمرَ نفسه * ولو بقتل وُلْده وعِرْسـه
وانّ مَن يقصد قَلْع ضِرسه * لم يَعتمد الا صلاح نفسـه
وانّ مَن خَصّ اللئيمَ بالنَّدَى * وجدْتَه كمن يُربّى أسَـدا
وليس فى طَبْع اللئيم شُكْر * وليس فى أصل الدنىء نَصْر
وانّ مَن ألزَمَـه وكَلَّفَـه * ضدّ الذى فى طبعه ما أنْصَفَه
كذاكَ مَن يَصْطَنع الجُهّالا * ويؤثر الأرذال والانذالا
لو أنكم أفاضلُ أحرار * ما ظَهَرَتْ بينكم الأسرار
انّ الاصولَ تَجذب الفُروعا * والعِرْق دَسّاس اذا أُضيعا
ما طابَ فَرْعٌ أصلُه خبيث * ولا زكا مَن مَجْدُه حديث
قد يُدركون رُتَبًا فى الدنيا * ويبلُغون وَطَرًا من بُغْيا
لكنهم لا يبلُغون فى الكرم * مبلَغ مَن كان له فيها قدم

وكل مَن تمائلتْ أطرافُهُ * في طيبها وكرُمتْ أسلافه
كان خليقا بالعُلَى وبالكرم * وبرَعتْ في أصله حُسْنُ الشيم
لولا بُنُو آدمَ بين العالَم * ما بانَ للعُقول فضل العالم
فواحدٌ يُعطيكَ فضلا وكرم * فذاكَ مَن يكفُرُه فقد ظَلم
وواحدٌ يعطيكَ للمُصانَعة * أو حاجة له اليكَ واقعه
لا تَشْرَهَنْ الى حُطام عاجل * كم أُكلة أودَتْ بنفس الآكل
واذكر أخيّ يافتى من الشَرَه * وقِسْ بما رأيتَه مالم تره
فليس مِن عَقْل الفتى أو كرمه * افسادُ شخص كامل لقَرَمه
فالبَغْيُ داءٌ ماله دواء * ليس لمُلْكٍ معه بقاء
والبغي فاحذرْه وخيمُ المَرْتَع * والعُجْبُ فاتركه شديدُ المصرع
والغَدْر بالعهد قبيحٌ جدا * شرّ الورى مَن ليس يَرْعَى العهدا
عند تمام الأمر يبدو نَقْصُه * وربما ضرّ الحريصَ حرصُه
وربما ضَرَّ بعضُ مالكا * وساءَ المحسن من رجالكا
فالمرءُ يَفْدي نفسَه بوفْره * عساه أن يَنْجُو به من أسره
لا تُعْطِيَنّ شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده

فى خواص مصر العامة لها لعبد اللطيف البغدادى

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جَبَـلان شرقىّ وغربىّ والشرقى أعظمُهما يبتـدئان من أسوان ويتقاربان باسنا حتى يكادا يتماسّان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذا حاذيا الفُسْطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيلُ ينساب بينهما ويتشعب باسافل الارض وجميعُ شُعَبه تَصُبّ فى البحر المالح

وهذا النيل له خاصّتان الاولى بُعْد مرماه فانا لانعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافةً منه لانّ مَبادئَه عُيون تأتى من جبل القمر وزعموا ان هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف درجة وعرض اسوان وهى مبـدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجـة فتكون مسافة النيـل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص سـدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هـذا سوى مايأخذ من التعريج فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا

والخاصة الثانية انه يزيد عند نُضوب سائر الانهار ونَشيش المياه لانه يبتـدئ بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتتناهى زيادته عنـد الاعتدال

الخريفي وحينئذ تُفتح الترع وتَفيض على الاراضي وعلّة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تُمدُّه في هذا الاوان فان أمطار الاقليم الاول والثاني انما تَغْزُر في الصَّيف والقَيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خَواصّ منها انه لايقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صَعيدها فاما أسافلها فقد يقع بها مطر جَوْد لكنه لا يفي بحاجة الزراعة وأما دِمْياط والاسكندرية وما داناهما فهي غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بارض مصر عين ولا نهر سوى نيلها

ومنها أن أرضها رملية لاتصلح للزراعة لكنه يأتيها طينٌ أسودُ عَلَكٌ فيه دُسومة كثيرة يُسمى الأبليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مَدّه فيستقر الطين ويَنْضُب الماء فيُحْرَث ويزرع وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل في العراق والشام لكنها تُخالَف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لانها تجيء بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤتفكات زكا الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكيّة كثيرة الاتاء والرَيْع اذ كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أُسافَةٌ مَضْوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصَفَا ولا أعرف

شبيها بذلك الا ماحكى لى عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحرث ويزرع فاذا حُصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا

ومنها ان الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات بالبُيْس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمد نيلها وفيضه لانه يمد فى الصيف ويُطبّق الارض فى الخريف فأما سائر البلاد فان مياهها تنش فى هذا الاوان وتغور. فى أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر اذا ذاك تكون فى غاية القُحولة والبُيْس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الامراض العَفَنيّة الحادثة عن اخْلاط صفراوية وبَلْغَمية وقَلّما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى فى الشُبّان والمحرورين وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها سلامة العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوَحيّة واما أصحاؤهم فيغلب عليهم النَزْل والكسل وشُحوب اللون وكُودته وقَلّما ترى فيهم مَشْبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فَضاويّون يَغْلب عليهم الدَمامة وقلة النَضارة وانما تَحْدث لهم البَدانة والقَسامة غالبا بعد العشرين وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة

بلدهم الذاتية لأن رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أقل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض

ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أراضيهم انما هي بنيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها أن الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقي المسمى المقطم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم خالصة اللهم الا نكباء ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل الشرقي الى الغربي واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا مواضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما في لحفه أكثر مما يستر عما بعد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقل في هوائهم النضج ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبته تتسارع العفن اليها ويكثر فيها الفأر ويتولد من الطين والعقارب تكثر بقوص وكثيرا ماتقتل بلسبها والبق المنتن والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا ومنها أن الجنوب اذا هبت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسي

لمرورها على أرض المَريس وهى من بلاد السودان وسببُ بردها مرورُها على برلَّ ونقائع والدليـل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متواليـة عادت الى حرارتها الطبيعية وانْحَنَتْ الهواء وأحدثت فيها يُبْسا

من لامية العجم لمؤيد الدين الطُغْرائى

اصالةُ الرأى صانَتْنى عن الخَطَل * وحليةُ الفضل زانَتْنى لَدَى العَطل
مَجْدى أخيرا ومجدى أوّلا شَرَعُ * والشمس رادَ الضحى كالشمس فى الطَفَل
فيمَ الاقامةُ بالزَوراء لاسَكَنى * بها ولا ناقتى فيها ولا جَمَلى
ناء عن الاهل صفْرُ الكَفّ منفرد * كالنَصْل عُرّى مَتْناهُ عن الحَلَل
فلا صَديق اليه مشتكَى حَزَنى * ولا حبيب اليـه منتهَى جَذَلى
طال اغترابى حتى حَنّ راحلتى * ورَحلُها وقَنا العسّالة الذُبُل
وضَجّ من لَغَب نضْوى وعَجّ لِمَا * يلقاه قلبى ولجّ الركْبُ فى عَذَلى
أُريد بَسطة كَفّ أستعين بها * على قضاء حقوق للعُلَى قِبَلى
والدهرُ يعكس آمالى ويُقنعُنى * من الغنيمة بعد الكدّ بالقَفَل
وذى شَطَاط كصدر الرمح مُعتقل * بمثْله غير هَيّاب ولا وَكل
حُلو الفكاهة مُرّ الجدّ قد مُزجَتْ * بقَسوة البأس منه رقّةُ الغَزَل
طرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عن وِرْد مقلته * والليلُ أغرَى سَوامَ النَوْم بالمُقَل
والركبُ ميلٌ على الأكوار من طَرَبٍ * صاحٍ وآخَرَ من خمر الكَرَى ثَمِل

فقلت أدعوكَ للجُلَّى لتنصُرنى * وأنت تَخْذُلُنى فى الحادث الجَلَل

تَنام عينى وعينُ النجم ساهرة * وتستحيل وصبْغ الليل لم يَحُل

حُبُّ السلامة يَثْنى هَمَّ صاحبه * عن المَعالى ويُغْرى المرءَ بالكَسَل

وان جَنَحْتَ اليه فاتخِذْ نَفَقًا * فى الارض أو سُلَّما فى الجوّ فاعتزل

ودَعْ غمارَ العُلَى للمُقْدمين على * رُكوبها واقتنِعْ منهنّ بالبَلَل

يَرْضَى الذليلُ بخَفْض العَيْش مَسْكَنةً * والعزُّ بين رَسيم الأَيْنُق الذُّلُل

وادْرأ بها فى نُحور البيد جافلةً * مُعارضات مَثانى اللُّجْم بالجُدُل

انّ العُلَى حدّثتْنى وهى صادقة * فيما تُحدّثُ أنّ العزّ فى النُّقَل

لو أنّ فى شَرَف المَأْوَى بلوغَ مُنًى * لم تَبْرَح الشمسُ يوما دارةَ الحَجَل

أَهَبْتُ بالحَظّ لو ناديتُ مستمعًا * والحَظّ عَنّى بالجُهّال فى شُغُل

لَعَلّه إن بدا فَضْلى ونَقْصُهُمُ * لعينه نام عنهم أو تنبّه لى

أُعلّل النفْس بالآمال أرقُبُها * ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحةُ الأمل

لم أرضَ بالعيش والايام مُقبلة * فكيف أرضى وقد ولّت على عَجل

غالَى بنفسىَ عزّانى بقيمتها * فصُنْتُها عن رَخيص القَدْر مبتذَل

وعادةُ النَّصْل أن يُزْهَى بجوهَره * وليس يَعْمَل إلّا فى يَدَىْ بَطَل

ما كنتُ أُوثر أن يمتدّ بى زَمَنى * حتى أَرَى دولةَ الأوغاد والسَّفَل

تقدّمتنى أُناس كان شَوْطُهُمُ * وراءَ خَطْوىَ اذ أمشى على مَهَل

هـذا جزاءُ امرئٍ أقرانُه درَجوا ❊ من قبْـله فتمنَّ فُسْحةَ الأجَـل
وان علانيَ مَن دونى فـلا عجَبٌ ❊ لى أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل
فاصبِرْ لها غيرَ محتال ولا ضجِرٍ ❊ فى حادث الدهر ما يُغْنى عن الحيَل
أعدَى عدُوّكَ أدنى مَن وثقْتَ به ❊ فاحذر الناسَ واصحَبْهم على دَخَل
فانما رَجُـل الدنيـا وواحدُها ❊ مَن لا يعوّل فى الدنيا على رجل
وحُسْـنُ ظنّكَ بالايام معجَـزةٌ ❊ فظُنّ شرًّا وكُنْ منها على وَجَل
غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدْرُ وانفرجت ❊ مسافةُ الخُلْف بين القول والعمـل
وشانَ صدْقَكَ بين الناس كذْبُهمُ ❊ وهـل يُطابَقُ معْوَجٌّ بمعتـدل
ان كان يجمَـع شئ فى ثَباتهم ❊ على العُهود فسَبْقُ السيف للعَذَل
ياوارداً سُؤْرَ عَيْش كُلُّـه كَدَرٌ ❊ أنفقْتَ صفْوَكَ فى أيامك الأوَل
فيمَ اعتراضُكَ لُجَّ البحر تركَبُـه ❊ وأنت تكفيكَ منه مَصّةُ الوَشَل
مُلْكُ القناعة لا يُخشَى عليه ولا ❊ يُحتاج فيه الى الأنصار والخوَل
ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها ❊ فهـل سمعتَ بظل غير مُنتقـل
ويا خبـيرا على الأسْرار مُطّلعا ❊ أصْمُتْ ففى الصمْتِ منجاةٌ من الزلَل
قد رُشّحولكَ لأمرٍ ان فطِنْتَ له ❊ فارْبأْ بنفسكَ أن ترْعَى مع الهمَل